

## مصر تحت الكابوس الأيوبي

الأب ايوب / والإبن يوسف / والعم شيركوه  
ورابعهم قراقوش / رجل المهام القذرة

زنكي أكتشف تواطؤ صلاح الدين مع الفرنجة في انقلابه.  
فأراد أن يهاجم مصر ليقلة منها.  
الأب للإبن: ما نحن إلا عبيد نور الدين زنكي ، ولو طلب منا  
لقتلناك.

من صلاح الدين إلى زنكى: أي حاجة لك في قصدي؟. نجاب  
(شرطي) يجئ ليأخذنى بحبل يضعه في عنقي.

بقلم:  
مصطفى حامد

عن أبي بكر الصديق أنه قال أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه.

## مصر تحت الكابوس الأيوبي

الأب ايوب/ والإبن يوسف/ والعم شيركوه/

/ ورابعهم قراقوش الرهيب/

### قبل البداية

صلاح الدين الأيوبي: هو يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان. وذكر المقدسي أن شادي كان مملوكا لبهروز الخادم وكان له ابنان أكبرهما أيوب ثم شيركوه .

قدم بهما العراق فخدما عند بهروز، الذي جعل أيوب علي قلعة تكرت وكانت في أقطاعه وقيل جعله بعد أبيه شادي، فخدم أيوب وشيركوه عماد الدين زنكي لما انهزم اليها، ثم قتل شيركوه رجلا فأخرجه بهروز من تكرت هو وأخاه أيوب ، وقد ولد يوسف بن أيوب تلك الليلة فلحقا بزنكي وأتصل أيوب مع غازي بن زنكي فأقامه علي قلعة بعلبك ومازال يترقى حتي صار من أمراء دمشق . وخدم شيركوه محمود بن زنكي، وصاريوسف بن ايوب في خدمة نور الدين محمود بن زنكي ، فخرج مع عمه أسد الدين شيركوه إلي مصر في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وقدمها ثم عاد إلي الشام وقدمها ثانيا (مصر) مع عمه وحضر وقعة البابين وحصره الفرنجة بالإسكندرية . ثم خرج مع عمه إلي الشام وسار معه في الكرّة الثالثة علي كُرّه منه الي مصر ، فقدمها في سنة أربع وستين.

## المؤامرة الأيوبية علي الوزير شاور .

ولما تقاعس شاور ( وزيرالخليفة الفاطمي في القاهرة) عن إجابة شيركوه وإعطائه ما تقدم به الوعد لنور الدين زنكي والعسكر . (ص148- ج1) السلوك

تشاؤروا علي الإحاطة به والقبض عليه ، فلم يجسر عليه أحد منهم إلا صلاح الدين(ص 149) ، فإنه لما قدم عليهم شاور علي عادته في كل يوم ، وساروا معه لقصد أسد الدين شيركوه ، سار صلاح الدين إلي جانبه أخذ تلايبه ، وأمر العسكر بأخذ أصحابه ففروا عن شاور ، ونهب الغُز ما كان معهم وسبق شاور إلي المخيم وقتل . فاستقر أسد الدين شيركوه بعده في الوزارة إلي ان مات شيركوه ، ففوض الخليفة العاضد الفاطمي وزارته إلي صلاح الدين ونعته بالملك الناصر ، فمَشَى الأحوال ، وبذل الأموال ، واستعبد الرجال(اشترى مماليك) ، وتاب عن الخمر فترك معاقبته(ص 150) ، واعرض عن اللهو ودبر الأمر في نوبة نزول الفرنج علي دمياط أحسن تدبير حتي رحلوا عنها خائبين فنهبت آلاتهم ، وأحرقت مجانيقهم ، وقتل منهم خلق كثير ، وتمكن صلاح الدين في مصر ، فقدم عليه أبوه نجم الدين

أيوب وأخوته وأهله (ص 150) السلوك. كما وفد النبي يعقوب مع بنى اسرائيل عندما استدعاه ابنه النبي يوسف عندما حكم مصر .

ثم إنه دأب في إزالة الدولة الفاطمية وقطع دابرها ومحو آثارها فأعانه الله علي ذلك ، ومات العاضد الفاطمي وقد قطع صلاح الدين خطبته وأمر الخطباء بالدعاء للمستضي بنور الله العباسي فاستولى علي القصر وما يحويه، في عاشر المحرم سنة سبع وستين . وأخذ يتأهب لغزو الفرنجة!! ، وقد أنفرد بسلطنة ديار مصر . وكتب العماد الأصفهاني بشارة تقرأ في سائر بلاد الإسلام بإقامة الخطبة العباسية بمصر .

وبشارة ثانية تقرأ بحضرة الخليفة المستضي بنور الله في بغداد ، علي يد القاضي شهاب الدين المطهر بن شرف الدين بن عصرون ، فسار القاضي ولم يترك مدينة ولا قرية الا وقرأ فيها المنشور ، حتي وصل بغداد ، فخرج الناس إلي لقائه ودخل يوم السبت ثاني عشره فعلمت أسواق بغداد بالزينة وخلع عليه. (ص 150) السلوك

في يوم الجمعة رابع عشر محرم : أخرجت جثة الكامل شجاع ابن شاور من المكان الذي قتل فيه بالقصر ودفن فيه ، فوجدت الجثة مختلطة بجثتي عمه وأخيه ، فجمعوا في تابوت حمل إلي قبر شاور ، فنُشِ عنه وأُخرج منه ، وكان في مكان غامض ، وحمل في تابوت وساروا بالتابوتين إلي تربة طي بن شاور فدفنوا به .

**تعليق:** جثث ممزقة ومختلطة ، ومقابر في أماكن غامضة . ما دوافع هذا الإنتقام؟. فمن الذي اعتدى علي من ؟؟

\*\*\*

في تلك السنة فُرقت الزكوات في الثالث من ربيع الأول علي الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والغارمين ، وأخذت الزكاة من البضائع ، علي ما أقتدر عليه من المواشي والنخل والخضروات .

وقررت السكة باسم المستضي بإمر الله الخليفة العباسي وإسم الملك العادل نور الدين زنكي . (نقش الأسماء الخلفاء والسلطين علي العملة يدل علي سيادتهم علي الدولة. وأسمين علي عملة واحدة تعني تقاسم سيادتهما علي تلك الدولة رسميا. ولكن صلاح الدين تصرف بمصر كمملكة خاصة به فهو مازال يعمل شكليا لدي نور الدين زنكي مع استرضاء الخليفة العباسي المستضي بالله وكسبه إلي صفه كي يعترف به سلطانا علي مصر من طرف الخلافة ولو شكلياً .

فكان تبادل المنفعة كالتالي: المستضي يعترف بشرعية صلاح الدين علي مصر مستقلا عن نور الدين زنكي سيده الأصلي، وذلك في مقابل إعادة الخطبة في مساجد مصر للخليفة العباس المستضي. ونقش اسمه علي السكة. وربما تلقى شيئا من الخراج.

## مناورة غزو الشوبك وأيلة. لخداع من ؟؟

رحل السلطان الملك الناصر من القاهرة ونزل البئر البيضاء فواقع فوصل إلي الشوبك و واقع الرنج الفرنج، وعاد إلي أيلة وهلك منه في تلك السفارة حوالي خمسة آلاف راس مابين جمل و فرس.

## الأب أيوب يحكم الثغر فأعاد الخمر إلى الإسكندرية وأظهر منكرها

وفي شهر المحرم 567 هـ نزل إلى القصر جنود العُز (الجنود الأتراك القادمين من مملكة السلطان محمود الغزنوي) وأُخرج من كان ساكناً في القصر من أبناء وأقارب الخليفة الفاطمي (طردوا من القصر).

وورد الخبر أن الخمر بعد تعطيلها وغلق حاناتها وقطع ذكرها بالإسكندرية (في العصر الفاطمي) أعيدت ببذل المال (دفع ضرائب أو رشاي لديوان نجم الدين أيوب) ففتحت مواضعها (الخمارات) وظهرت منكرها (متعلقاتها من منكرات) . (ص151) السلوك

## كنوز مصر الفاطمية غنيمة للأيوبيين

15 جمادى الآخر 567 هـ كشف حاصل القصر بالخزائن الخاصة (ص152 - السلوك)، فوجد مائة صندوق كسوة فاخرة ، ما بين موشح ومرصع ، وعقود ثمينة ، وذخائر فخمة ، وجواهر نفيسة ، وغير ذلك من ذخائر عظيمة ، تولى كشفها بهاء الدين قراقوش. وكان وزيراً لصالح الدين وأشتهر بالظلم والقسوة ومازال يضرب به المثل عند المصريين في قولهم حُكْم قراقوش عندما يصفون الحاكم الظالم مع أنه كان رجل دولة وادارياً كفؤاً.

## أزمة اقتصادية في مصر

567 هـ وفيها عَمَّت البلوي والضائقة بأهل مصر ، لأن الذهب والفضة خرجا منها وما رجعا وعندما فلم يوجد ، ولهج الناس بما عمهم من ذلك ، وصاروا إذا قيل دينار أحمر فكأنما ذكرت حرمة الغيور له ، وإن حصل في يده فكأنما جاءته بشارة الجنة . (ص 152) السلوك

**تعليق:** في هذا أول إشارة لمدي النهب الذي تعرضت له مصر علي يد سلطان الأيوبي. بأن نهب من مصر الذهب والفضة حتي وقعت بها البلوي الاقتصادية فالمسألة ليست سُنَّة أو شيعة بل هي ذهب أو فضة.

خرجت المعادن الثمينة من مصر وما رجعت حسب ذكر المقرئزي ، لقد نزحت الثروة المصرية إلي درجة الجفاف ومع ذلك فإن السلطان يوزع الزكاوات علي الناس. فكان أولي به ألا ينهب ثروات الشعب المصري فهو شعب مسلم ويتباهي المؤرخون المسلمون ان الدولة الإسلامية لم تنهب ثروات الدول التي فتحها بل فرضت عليهم الجزية مقابل الحماية وهي مبالغ بسيطة للغاية ، فهل كان سكان مصر المسلمون أدني درجة من شعوب لم تكن مسلمة ودخلها الإسلام؟؟ .

\*\*\*

ومقدار ما يحدث أنه خرج من القصر ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وطبوس وأثاث وقماش وسلاح مالا يقوي به الملوك الاكاسرة. ولا تتصوره الخواطر ولا تشمل علي نَيْلة الممالك ولا يقدر علي حسابة إلا من يقدر علي حساب الخلق في الآخرة . (ص152 ج1) السلوك

**تعليق:** كانت الدولة الفاطمية التي استمرت لأكثر من قرنين مترامية الأطراف وشملت الشام كله وصولاً إلى المغرب العربي وجزيرة العرب كلها واليمن وكانت أقوى بكثير في ذلك الوقت من الخلافة العباسية المضطربة حيث لا يقوي الخليفة علي حماية نفسه أو ممارسة سلطانه، وينافسه موظفوه وقادة الجند والجواري والغلمان، والممالك الإسلامية القريبة التي تسلط بعضها علي الخلافة بشكل كامل واحتل بعضهم بغداد خاصة الأتراك السلاجقة .

الخلافة الفاطمية تعرّضت هي الأخرى لأعراض الشيخوخة والضعف ثم الانهيار. حتى أن الخليفة العاضد الفاطمي تسول النجدة من نور الدين زنكي، في حلب والموصل فأرسل زنكي إليه أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي . مع جنود من الأتراك الغز أصحاب التاريخ السيئ في انقلابات قصور خلفاء بغداد. فنقلوا خبراتهم إلى القصور الفاطمية في القاهرة تحت قيادة شيركوه وابن أخيه يوسف. ولم تكن تلك النتيجة بعيدة عن إرادة السلطان زنكي في حلب، بل أنه كان يريد ذلك تماماً فهي طريقة جربها مرارا لإزاحة منافسيه في الشام. الأحداث أثبتت أنه لم يتوقع أن يخونه الأيوبيين الثلاثة (الأب والإبن والعم شيركوه) ، بعد تاريخ طويل من الثقة والإحسان إليهم. حتى أنه كلفهم بأهم مرحلة في برنامج التوسعي بالاستيلاء على مصر ليزيحوا عن صدره كابوس الفاطميين في مصر والشام ، خاصة إذا أضيف إليهم مخاطر الممالك الصليبية المنتشرة على شواطئ الشام. ولم تكن عداوته للصليبيين أو الفاطميين لها أساس غير توسيع الملك وتأمين السلطنة. فلا هي صراع اديان ولا صراع سني شيعي. فالهرقلات الإسلامية منذ بدايتها ظلت /حتى الآن/ تعمل وفق مبدأ مؤسسها يزيد القائل (لعبت هاشم بالملك .. فلا وحي جاء ولا أمر نزل). فلا أثر لمبدأ أصولي في سياساتهم.

## اقتصاد مصر في ظل الاحتلال الأيوبي

فالإبن والعم اللذان استوليا علي مصر وقتلا الوزير شاور والأمراء الفاطميين الأحياء ونبشوا قبور الخلفاء الفاطميين الأموات وغيبوهم في مقابر غير معلومة. ونهبوا ثروات هائلة من مصر حتي جففوها تماماً سرقوا الذهب والفضة واتوا بالخمير و"الافرنجي".

أخرج الأيوبيين ثروات هائلة من مصر حتي تعرض الحكم الأيوبي في مصر لأزمات مالية فاضطر (الأب أيوب) والد صلاح الدين إلي الترخيص بيع الخمور وافتتاح الخمارات وظهرت باقي "المنابر" المتعلقة بالخمور في الإسكندرية في مقابل المال. وذلك هو الإنتعاش الذي يأتي به الاحتلال إلى اللاد المنكوبة، سواء كان احتلالاً أيوبياً أو فرنسياً أو انجليزياً، وقد جرّبت الإسكندرية كل ذلك خلال تاريخها، إنها تنمية استعمارية قائمة على مدخولات الخمور والحشيش واستعباد النساء جنسياً. ويكون المستعمر هو الرابع الأول من إيرادات ذلك النشاط والرواج الذي تديره مافيا من كبار مسؤولي الاحتلال. تدافع عن مصالحها في توسيع ذلك الاقتصاد واستمراره بشكل رسمي معترف به أحياناً، أو بشكل خفي ولكنه محاط بقدر من الرعاية السرية من السلطة. وعند التوسع يستوردون الفرنجيات الخواطي "الداعرات" ونصادف ذلك المصطلح مراراً في كتابات المؤرخين. فانتشرت الأوبئة والأمراض الجنسية حتى أطلق الأطباء على مرض الزهري إسم "الإفرنجي" لارتباطه بنشاط "الخطايا الفرنجيات" اللاتي جذبهن الثغر ورواج صناعتهم فيه. وصل المرض من الرواج أن أصيب به أحد سلاطين آل أيوب المشهورين (الصالح أيوب) الذي (طريقة الإفرنجي) حسب وصف المقرئزي فأدى إلى موته بالمشاركة مع مرضين آخرين هما السل والناصر.

بسبب السطو الأيوبي علي الذهب والفضة وإفلاس مصر بتهريب كل ذلك إلى خارج البلد. أضطر صلاح الدين إلي شن حروب خارجية (فتوحات إسلامية) في بلاد هي إسلامية منذ عقود طويلة . فتوجه إلي بلاد المغرب كونها

ضعيفة وكثيرة الأموال ولا خبرة لسكانها في الحرب (حسب مستشاري محرر القدس، فغنم من هناك غنائم كثيرة ، وتوجه أيضا إلي اليمن كي يغزوها وتكون مقراً احتياطيا ولا ينازعه فيها آل زنكي ، وهذا ما نصحه به أعوانه وقد تم له ذلك بالفعل. لم يكن الفرنجة أعداء حقيقيون للأيوبيّة بل منافسون فقط أما العداء الحقيقي للأيوبيّة فكان في المغرب واليمن حيث تحرك" لفتحهما "من جديد أمام الدين الأيوبي الذي يجدد شباب الرسالة الأموية ودستور يزيد للحكم المطلق.

## فتوحات طاغوتية

فما معنى أن يعاد فتح بلد إسلامي عدة مرات؟. وينتزع منه أسرى وسبايا وأموال بلا حصر. والتغيير الوحيد هو تلاوة دعاء الجمعة باسم حاكم جديد. وتطرح سَكَّةٌ جديدة باسمه. ويعاد تغيير هوية السجناء. واسماء المرشحين للإعدام. و يتم تجديد أحبال المشانق أما ميدان الشنق فيعرفه الناس ويتلقون تحت الجثث المدلاة رشاًوى من سَكَّةَ السلطان الجديد، مقابل الدعاء له بطول العمر والنصر على الأعداء الذين سيشتقون لا حقا.

وفي ذلك مثال على أن الفتوحات الإسلامية في ظل الأنظمة الطاغوتية هي عمليات "سطو مقدس" في سبيل توسيع رقعة الظلم والجور وتحدي الشريعة، وجمع المال بأي طريق. وكما هو واضح من الفقرة السابقة. ممن فتحو في الاسكندرية الخمارات وبيوت الخطايا ونشروا الفرنجي في بلد مسلم عرف الإسلام قبل أن يعرفوه ولكنهم أعادوا فتح مصر وواصلوا الفتح إلى القدس وظلت القدس معهم عدة سنوات، ثم أعادوها مرة أخرى إلى الفرنجة كما سيأتي ذكره ضمن قصة القدس.. وكأن صلاح الدين استعار القدس من الفرنجة ولم يحررها بالفعل. وسوف نلاحظ أن الملوك الأيوبيين لم يبذلوا جهداً ينبئ عن نيتهم الاحتفاظ بها. بل كانوا يعرضون على الفرنجة اعادتها إليهم عند كل تفاوض حتى استلمها منهم الفرنجة بلا قتال (كما سلمها لهم قديما خليفة عباسي من تربية القهرمانه ثمل.

## بداية مشاكل صلاح الدين مع عرب مصر

وفي تلك السنة عرض السلطان العُربان الجذاميين ، وكانت عدتهم سبعة آلاف فارس فاستقرت علي ألف وثلثمائة فارس لا غير ، وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب (الضريبة المستحقة) وكان أصله الف الف دينار، وكلف الثعالبه مثل ذلك فامتعضوا ، ولوّحوا بالتحيز إلي الفرنج . (ص152 ) السلوك

**تعليق:** كلمة العربان تعني البدو الرُحَّل، ويقصد منها التهوين من شأن قبائل العرب التي استوطنت مصر. فكما ذكرنا فإن التهوين من شأن العرب عموماً كان سياسة عباسية متبعة كما ذكرنا سابقاً .

بل أنهم اضطهدوا العرب ولم يكتفوا باضطهاد الطالبين أو الشيعة وقد توارثت الدول والممالك الإسلامية حتي بعد تفكك الدولة العباسية تلك السياسة وذلك واضح من كلام المؤرخين والنتاج الأدبي للكثير من الشعراء والكتاب في ذلك العصر .

وكما سنري لاحقا فإن قبائل العرب قامت بعدة ثورات في مصر ضد الأيوبيين والمماليك، طاعنين في شرعية حكمهم التي لا تستند إلي الشرعية الإسلامية بل إلي العصبية القومية والفتك بالسيوف. واعتبر عرب مصر الأيوبيين خوارج عن الحكم الشرعي(الفاطمي).



فالأيوبيون تعصبوا لقوميتهم الكردية والمماليك تعصبوا للجنس التركي وكان أكثرهم من الشركس. أما عرب مصر فقد كانوا قريبين من السكان الأصليين والطبقات الفقيرة في المجتمع المصري وأهل الذمة خاصة النوبيين (المسيحيين) في جنوب مصر والذين تمتد بلادهم إلي داخل السودان لمسافة أربعين يوم سيراً. هؤلاء جميعهم شملهم ظلم الأيوبيين والمماليك كما شملهم قبل ذلك تسامح الحكم الطولوني ثم الفاطمي لمدة تزيد عن مئتي عام حتي اعتادوا عليه كطريقة للحياه وقد كلفهم ذلك الكثير بعد هزيمتهم العسكرية أمام العباسيين ومن بعدهم الأيوبيين، ثم المماليك وسوف. نري أبشع أنواع العقاب التي طالت عرب مصر علي يد أول سلاطين المماليك (عزالدين أيبك التركماني) الذي صلب عشرة آلاف عربي فوق المشانق علي طول الطريق الممتد من بلبيس إلي القاهرة.

## تعثر المسيرة الأيوبية

استمرت انتفاضات المصريين ضد الأيوبيين ثم المماليك منذ بداية عهد صلاح الدين الأيوبي وحتى حكم الخليل قلاوون المملوكي. وكانت قد أخذت قوتهم في الضعف الشديد بعد حملة زميلهم في جهاد المنصورة عز الدين أيبك سلطان مصر لاحقاً. ولكنهم لم يتوقفوا عن المعارضة بشكل كامل.

- لم تكن سيرة سلاطين الأيوبيين بتلك الصورة الناصعة التي يحاول أن يرسمها مؤرخو الفتنة مجاملة لصلاح الدين الذي أسقط دولة الفاطميين "وأعانه الله عليهم. حسب المقرئزي" وفتح القدس "مؤقتاً".

لقد كان للصورة جوانب أخرى كثيرة، فصلاح الدين بدأ مُكَلِّفاً من قِبَل نور الدين زنكي، بمساعدة الخليفة الفاطمي في مصر لمواجهة الصليبيين، ثم لدراسة إمكانية استخلاص مصر لصلاح دولة آل زنكي في الشام.

ولكن صلاح الدين أنفرد بمصر معلناً نفسه سلطاناً عليها مستقوياً بالخليفة العباسي في بغداد الذي ساندته معترفاً به حاكماً شرعياً لمصر من قِبَل الخليفة.

- أول الفضائح الأيوبية، كانت نهب القصور الفاطمية في القاهرة.

والثانية: كانت فضيحة جباية الأموال من الحجاج المصريين وكانت سبعة دنانير ونصف يدفعها الحاج إما في ميناء عيذاب المصري أو في ميناء جدة وإلا سيتعرض هناك إلي (الإخفاء وتعليقه من أنثيه) حتي يموت أو يدفع ما عليه أو يعود إلي بلاده خالي الوفاض.

والقصة مذكورة في كتاب "التاريخ لايفيد" تحت عنوان "سلامتك يا حجاج".

## ختام فضائحي للحكم الأيوبي في مصر

وأنتهي العهد الأيوبي بأكبر الفضائح التي طالت آخر أثنين من السلاطين الأيوبيين (سنفرد لهما تفاصيل أكثر في آخر هذا الفصل) .

هما نجم الدين أيوب وولده تورانشاه ، فقد ذكرنا بعض من المعاييب التي تمس نجم الدين أيوب وأسباب موته. أما نجله تورانشاه فقد فاق في الظلم والفساد والمجون كل من سبقه من سلاطين ومعظم من أتى بعده منهم . فقتل المماليك السلطان "تورانشاه" علي شاطئ فارسكور بعد أن قضى واحد وسبعين يوما في حكم مصر . فكان آخر من حكم مصر من الأيوبيين.

\*\*\*

عن أبي بكر الصديق أنه قال أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه

## المسرة الأيوبية

الأب أيوب / والإبن يوسف / والعم شيركوه

قراقوش ظل صلاح الدين : ورجل المهام القدرة

وكان خصيا أبيض من خدم (أسد الدين شيركوه) عم صلاح الدين

## الطيب والشرير : صلاح الدين وقراقوش

كان العصر الأيوبي حافلا بالظلم والطغيان والتضييق علي المصريين الذين اعتبروا أعداء للهجمة الأيوبية، و"عملاء" للفاطمية فقد حكمهم الفاطميون (الشيعة) ومن قبلهم الطولونيين السُّنة لمدة تزيد عن مائتي عام بطريقة عادلة وإنسانية حتي أعتاد المصريون علي العدل الذي نادرا ما ظهر في بلادهم وأختفي منها بعد حكم نبي الله يوسف بن يعقوب لمصر .

يُجمع المؤرخون علي ان صلاح الدين عامل المصريين بشدة بالغة وذلك شامل جميع الطوائف كما شمل أهل الذمة من اليهود والنصارى وإضطهدوا أهل النوبة وهم من أصول سودانية واعتبروهم عبدا وفي الحقيقة أنهم اعتبروا جميع فلاحى مصر عبيد وقد ورث عنهم المماليك ذلك .



صلاح الدين كان يعاني من مخاطر شديدة علي حكمه وكان أقوى الأعداء ليس هم الفاطميين الذين خسروا نفوذهم وتحطموا تحطيمًا شديدًا علي يد الأيوبيين والقبائل الكردية. وخسروا أموالهم ودخلوا السجون وقُتِلَ الأمراء والقادة الكبار، و مقابر الخلفاء نُبِشت ونُثرَت في أماكن بعيدة .

كان صلاح الدين يخشي آل زنكي ودولتهم القوية الممتدة من الموصل إلي حلب خاصة نور الدين زنكي السلطان القوي والمُهاب الذي هدد وتوعد صلاح الدين كونه استقل بمصر واحتفظ بثرواتها لنفسه وبدأ يلعب بورقة الخلافة في بغداد ليكسب الخليفة إلي جانبه لمواجهة السلطان زنكي .

لأجل ذلك أسرع صلاح الدين في بناء قلعة حصينة فوق جبل المقطم لتكون مركز لحكمه ويحتمي بها من تهديدات آل زنكي ومحاولات الإغتيال التي تكررت عليه من أنصار الفاطميين في مصر .

وبنى سورا حول القاهرة لحمايتها من زحف آل زنكي المحتمل من جهة الشام وأختار صلاح الدين بعد نجاح انقلابه علي الفاطميين أن يظهر أمام شعب مصر بصورة الحاكم المسلم الطيب (علي غير حقيقته الأيوبية التي دخل إليها سكيراً لاهياً طروباً). وكذلك كان العم شيركوه، اما الأب أيوب المؤسس فتشهد على نزاهته خواطي الإسكندرية من الفرنجيات). أراد صلاح الدين أن تكون صفة (السلطان المؤمن) ملازمة له تاركا الأعمال القذرة من ظلم وقتل وسجن ونهب الأموال لرجل المهام القذرة وزيرة قراقوش الذي تعرضنا لسيرته في هذا الجزء وهو شخصية قاسية غشومة وكان يبني سمعته علي قدرته علي إنجاز المشاريع الكبيرة بسرعة مهما كانت التكاليف المالية والبشرية .

فعاني منه المصريون كثيرا لأنه استخدمهم في السخرة ومات منهم كثيرون من الجوع والمرض، فكان يخطف الرجال من الأسواق ويقتحم البيوت ويخطف الرجال ليعملوا في مشاريعه بالسُّخْرَة . [تكررت نفس الحالة عند حفر قناة السويس في أواسط القرن 19 بما يدل على أن قراقوش كان من مؤسسي جذور الإستبداد في مصر).

فكان قراقوش سوط عذاب ونقمه سلَّطه صلاح الدين علي شعب مصر حتي ضربت به الأمثال بين المصريين علي الظلم حتي الآن علي كثرة ما مرَّ علي مصر من ظالمين.

وكان قراقوش هو الرجل الأول لدي صلاح الدين ووزيره، كما استخدمه في قيادة حملات عسكرية علي بلاد المغرب وكان صلاح الدين يعتبر بلاد المغرب هي أصل الخطر الفاطمي الذي ظل يقلق مضاجعة طول الوقت حتي نهاية حكمه ولم يخفف الضغط عنهم ابدا.

قراقوش أنجز مشاريع مازالت قائمة مثل قلعة صلاح الدين. وأقام سور حول القاهرة. وفي سبيل ذلك هدم عدد كبير من أهرامات الجيزة الصغيرة ليستخدم صخورها الكبيرة في مشاريعه تلك .

فقد كان آخر ما يعتني به حكام مصر الإسلامية هو تاريخها السابق عن الإسلام لهذا اعتبروا كنوزه النادرة غنائم شخصية لهم تباع وتهدى للملوك الآخرين للتفاخر.

اما الأحجار من المعابد والأهرامات فاستخدموا منها في بناء القصور والأسوار حتي جاء اللص العثماني سليم اللثيم ونقل الآثار من أعمدة وأبواب حديد إلي عاصمته بيزنطة .

قراقوش كان يد صلاح الدين في نهب الكنوز الفاطمية فقد أستاذت لنفسه ولعصابته بجزء لا يستهان به من الثروات المسروقة خاصة الدنانير المصرية التي أبلغ أنه لم يجد منها شيء يذكر في قصور الفاطميين وكأنهم كانوا متسولون فقراء و ذلك يناقض كثرة ما وجده من تحف نادرة. كانت محل استغراب ودهشة المؤرخين وقالوا أنه لا مثل لها .

ذلك أن الدنانير يسهل إخفاؤها وسرقتها أما التحف فيسهل كشفها وأفتضح أمرها لهذا سرق قراقوش وعصابته الدنانير الذهبية وسلموا التحف لصالح الدين، حتي سَخَر المقريزي منهم عندما ألحق بفقرته حول نهب القصور فقره تتكلم عن انتشار الفئران في مصر فأكلت المحصولات والنخيل والشجر و القصب !! وفي ذلك إشارة مصرية ذات معنى. وأنه يقصد بالفئران قراقوش وجماعته والأيوبيين وعصابتهم .

## قراقوش يرعى حجاج مصر

ومن كوارث قراقوش وقوفه خلف أزمة الحج التي تعرض لها حجاج مصر إذا لم يدفعوا مَكْسَن (ضريبة) مقدارها سبع ونصف دينار عن الحاج فيتعرضون للتعذيب والأخصاء في ميناء جده بأوامر من أمير مكة التابع لمصر. واضح من توقيع عقوبة الإخصاء سفاهة عقل قراقوش كما وصفه المصريون في كتابهم الساخر (الفاشوش في حكم قراقوش). فقراقوش نفسه خصي فربما تعطف على شعب مصر ليرفعه إلى درجة الأخصاء التي يتمتع بها، فقد يظهر من بينهم وزراء نابيين وقساة مختلين عقليا من أمثلة، وهكذا يرتفع مستوى شعب مصر.

ولا يستبعد أن جنونه أوحى إلية أن الحجاج ليسوا في حاجة إلى تلك الأشياء في رحلتهم المقدسة. فقد تشغلهم الأثقال غير الضرورية عن أداء الطاعات.

وعندما ضج المصريون جاء صلاح الدين في ثياب المنقذ المصلح الإسلامي وأمر برفع الضريبة عن الحجاج، وقدم تعويضا لحاكم مكة ووالي ميناء جده. والقصة موجوده في هذا الكتاب تحت عنوان (سلامتك يا حجاج) .

واستمر تقسيم الأدوار بين صلاح الدين الطيب ووزيره قراقوش الشرير علي هذا المنوال حتى مات صلاح الدين وقد استخدمه في أواخر أيامه لإصلاح قلعة عكا التي أستولي عليها صلاح الدين وأصيبت بأضرار شديدة ولكن الفرنجة عادوا واستولوا علي القلعة وأسروا قراقوش وظل عندهم حتي دفع صلاح الدين فدية كبيرة لإطلاق سراحه.

## صلاح الدين والثقافة

لا يهتم السلاطين عادة الا بالمدّاحين والمنافقين باعتبارهم سلاح دعاية لتثبيت حكمهم وتشويه صورة المعارضين وكتابة فصول من التاريخ عنهم غير حقيقية تظهرهم بصورة مشرّفة تخدع الأجيال القادمة وهو ما نعاني منه حاليا .

ونادرا ما أهتم أحد منهم بالعلم والتأليف الا في حدود سياسية ومذهبية محددة.

جاء في كتاب السلوك ما يلي: أن قراقوش وجد في قصور الفاطمية من الفرش والسلاح والذخائر والتحف ما يخرج عن الإحصاء .

كما وجدوا من الأشياء الغربية ما تخلو الدنيا من مثله ، أما عن المكتبة فقد وجدوا فيها من الكتب النفيسة ما لا يعد، ويقال أنها كانت ألف ألف وستمئة ألف كتاب ، باع صلاح الدين كل ذلك واستمر البيع فيها لمدة عشر سنوات!!.

هذه الثروة الثقافية النادرة أضاعها ذلك الجُلْف ومن حوله من الرعاع وباعوها ربما للباعة الجائلين في أسواق القاهرة لتستخدم كقراطيس لبيع الترمس والحمص والتسالي.

لقد خسر المسلمون بتلك الجهالة الأيوبية أضعاف ما خسروه علي يد التتار في بغداد الذي قيل أنهم أغرقوا مليوني كتاب وذلك غير صحيح ولكنه تشنيع أطلقه من أضاعوا "الخلافة" وسلموا رقاب المسلمين لساقطات من أمثال القهرملنة تُمل سيدة خلفاء بني العباس التي حكمت وجواربها الامبراطورية الإسلامية لسنوات طويلة. ضاعت فيها القدس وثغور الشام وتقسّمت الإمبراطورية العباسية.

فالتتار أهتموا كثيرا بالكتب والثقافة الإسلامية وبنوا المكتبات والمراصد الفلكية وأعتنق الكثير منهم الإسلام بأكثر ممن خرج من الإسلام بسبب ظلم الأيوبيين وجهلهم.

## السّم عمدة الطب السياسي في الإسلام

إن لله جنودا من غسل . أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان. ما أن تخلص صلاح الدين من الوزير الفاطمي القوي شاور وقتله كما تخلص من الخليفة الفاطمي العاضد وغالبا بواسطة سلاح السم المشهور (ينبغي تسميته: **عمدة الطب الساسي في الإسلام**) وهو نفس السلاح الذي تخلص به الفاطميون من العم شيركوه الذي كان يتولى الوزارة بعد إغتيال الوزير شاور علي يد صلاح الدين ورجاله.

## عبقرية التآمر الأيوبي

صلاح الدين خبير الاغتيالات السياسية قبض علي ابن الخليفة الفاطمي الذي جاء ليطلب منه البيعة. وادعي صلاح الدين أنه هو السلطان الذي أعطاه الخليفة الفاطمي ولاية مصر .

فألقي القبض علي الأمير الفاطمي وعلي جميع رجاله ونقل جميع الأمراء من القصور إلي دار في حارة برجوان وأستولي صلاح الدين وأهله علي القصور الفاطمية وأعطى القصر الشرقي لزوجته. وأعطى والده منظرة للؤلؤة علي الخليج. ووزع علي الأمراء الأيوبيين باقي القصور الفاطمية كما رسم خطة أيوبية لإستدراج الأمراء المصريين" الفاطميين" في الليل إلي خارج قصورهم ثم القبض عليهم ومداهمة القصور ثم يتولى أحد أمراء الشام" الأيوبيين" القبض على الأمير المصري ويهجمون علي داره ويستولون علي ما تحتويه من أهل (نساء وأطفال ومال وعبيد وجواري) ويمتلكون أقطعاته.

الخطة لصلاح الدين خبير التآمر والإنقلابات، أما التنفيذ فمسؤولية رجل العمليات القذرة الوزير قراقوش. وقام صلاح الدين بإبعاد كل الخدم السودانيين من قصر الخليفة وكانوا من المحبين المخلصين للفاطميين .

ونفذ ذلك الأمر قراقوش الذي قتل الكثيرين من أنصار الفاطميين وقبض علي الكثير من السودان وقام بكيهم بالنار في وجوههم وصدورهم وحرق عليهم بيوتهم ليلا .

قراقوش الذي طرد الأمراء الفاطميين من القصور وحشرهم في الحواري فصل بين الرجال والنساء حتي لا يتكاثرون !! ذلك الخصي كان بخشي من تكاثر المصريين. فمرة بخصي الحجاج ومرة أخرى يمنع تزواج

**الفاطمين.** في عملية إبادة عرقية من ابتكار قراقوش . (عقاب لا يهتدي إليه إلا خصي مثله يشعر بالغيرة والحسد.. يضرب المصريين في نقاط قوتهم وتفوقهم البيولوجي).

## قراقوش:

هو بهاء الدين قراقوش وزير السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي تقدمه لنا الرواية التاريخيه على أنه وزيرا نابها وإداريا حازما قام بمشاريع إنشائية عظيمة وكان الساعد الأيمن لصلاح الدين الأيوبي، بينما تقدمه لنا الرواية الشعبية كطاغية غشوم وحاكما ظالما سفاكا للدماء بعيدا كل البعد عن اقرار الحق والحرص على العدالة لا يعرف الرفق أو الرحمة حتى أنه غدا مضرب الأمثال فأصبحت المقولة الشهيرة (حكم قراقوش) تطلق على كل حاكم ظالم وطاغية باطش ، فما هي حقيقة تلك الشخصية وأى الروايتين أصدق ؟ ولأيهما سنميل ؟

## أولا. قراقوش في الرواية التاريخية:

يقول عنه (ابن خلكان) عندما قدم له ترجمة في وفيات الأعيان (هو أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي) الملقب ببهاء الدين، وقراقوش معناها في التركية (النسر الأسود) ، وكان خصيا أبيض من خدم (أسد الدين شيركوه) عم صلاح الدين الأيوبي الذي أعتقه، فلما تولى صلاح الدين الوزارة للخليفة الفاطمي (العاقد بالله) ، جعله المسؤول عن القصر الفاطمي، فأبدى همة وكفاية في كل ما أسند إليه حتى أصبح رجل صلاح الدين الأول ، وساعده الأيمن. وحاز على كامل ثقته ، ولما غاب صلاح الدين عن مصر لفترة ، عين قراقوش نائبا عنه ، فضبط الأمن والنظام ، وأثناء خدمته لصلاح الدين قام بطائفة من الأعمال الإنشائية العظيمة التي خلدت اسمه ، والتي مازالت آثارها باقية بيننا، فهو الذي أنشأ قلعة الجبل على سفح جبل المقطم، بناء على طلب صلاح الدين ، الذي رغب في إنشاء معقل حصين يكون فيه امنا على نفسه من مؤامرات الشيعة ويجعله قاعدة لحكمه، وتم إنشاء القلعة عام 1174 م ، كما أنشأ بئرا للقلعة ليمدها بالماء ، وبنى سورا يضم القلعة والفسطاط والقطائع والعسكر والقاهرة ، بعد أن اتسعت أحياء القاهرة إلى خارج السور الفاطمي القديم، وأبدى قراقوش في تنفيذ هذه الأعمال همة فائقة، وهدم كثيرا من الأهرامات الصغيرة التي كانت بالجيزة، واستعملت أحجارها الضخمة في بناء القلعة والسور المحيط بها، و قناطر الجيزة على النيل بالقرب من الأهرامات ، وعندما استولى صلاح الدين على ثغر عكا من يد الفرنج ، أسند إلى قراقوش مهمة إصلاحه وترميم قلاعه وأسواره، وعاد الفرنج فاستولوا عليه ، ووقع قراقوش أسيرا في أيديهم ولم يفرج عنه !لا بعد أداء فدية كبيرة ، ولبت قراقوش في خدمة صلاح الدين حتى توفي صلاح الدين عام 589 هجرية، وعاش قراقوش لعدة أعوام بعد وفاة صلاح الدين حيث توفي في سنة 597 هجرية . (1201) م.

ومما رواه معاصروا قراقوش عنه ماقاله العماد الأصفهاني، من أنه (الراجح الرأي ، الناجح السعي ،الكافي ، الكافل بتذليل الجوامح ، وتعديل الجوانب ، وهو الثبت الذي لا يتزلزل، والطود الذي لا يتحلل ، بهاء الدين قراقوش الذي يكفل جأشه بما لا تكفل به الجيوش)، كما قال عنه (ابن خلكان) وقد عاش قريبا من عصره ، أنه كان رجلا مسعودا، وصاحب همة عالية.

أما عن السيرة الشعبية لقراقوش، فقد أظهرته في صورة قاتمة ومثيرة، فقد ظهرت في عصر قراقوش رسالة خطيه منسوبة ( لأسعد بن مماتي ) ناظر ديوان صلاح الدين عنوانها (الفاشوش في حكم قراقوش) والتي حمل فيها على قراقوش بشدة ، ورماه بالطغيان والغفلة ويقول في مقدمتها وقد صاغها باللغة العامية ( اني لما رأيت عقل بهاء

الدين قراقوش مخرمة فاشوش قد أثلفت الأمة ، صغت هذا الكتاب لصالح الدين ، عسى أن يريح منه المسلمين)، واحتوت الرسالة على عدة أخبار ونوادر منسوبة لقراقوش للتدليل على اضطراب تفكيره ، وشدة جوره وعسفه ، ومن أمثلة تلك النوادر التي نسبها ابن مماتي لقراقوش ، أنه أمر بحبس دائن شكا من مماطلة مدينه الذي اقترض منه بعضا من المال، فلما قبض على المدين، احتج بأنه رجل فقير ، وأنه كلما اقتصد مبلغا من المال ، وأراد إعطائه للدائن لم يجده، فأمر قراقوش بحبس الدائن حتى إذا جمع المدين مبلغا من المال استطاع أن يجد الدائن في الحبس ليسدد له ماله، عندئذ قال الدائن صاحب الحق، تركت حقى يامولاي وأجري على الله ومضى لشأنه.

وهكذا ظلت الأخبار والنوادر التي تضمنتها رسالة الفاشوش يتم تداولها بين الناس على مر العصور ، وهى تدمج اسم الرجل الذى نسبت إليه بوابل من الصفات القاسية التي استمرت عالقة به حتى عصرنا الحاضر ويرى البعض أن السر فيما احتوته السيرة الشعبية من أوصاف قاسية بحق قراقوش، إنما يعود الي أنه كان شخصية وافرة الصرامة والحزم ، وأنه امتاز بالقوة والسرعة فى إنجاز المنشآت الضخمة التي كلفه بها صلاح الدين الأيوبي، وفى مقدمتها انشاء قلعة الجبل، وسور القاهرة ، وقناطر الجيزة ، وكلها من المنشآت الهائلة التي تقتضي إقامتها حشد عشرات الألوف من الرجال وقد رأينا فوق ذلك ان قراقوش قد أمر بهدم عدد كبير من أهرامات الجيزة الصغيره لكى يستعين بأحجارها الضخمة فى إقامة هذه المنشآت التي تحتاج إلى جهود ضخمة وعمل مضنى كان يتم بالسخرة عن طريق حشد الأيدى العاملة بطريق القسر والارهاب ، وكان الألوف من العمال والأسرى والعبيد يتم حشد معظمهم عنوة، وربما خطف الناس من الشوارع، أو من منازلهم ، ثم يساقون إلى العمل قسرا تحت سطوة رؤساء العمال القساة والظلمة، ولا يحصل العامل من الأجر الا على كسرة جافه من الخبز يتقوت بها، وكان الكثيرين منهم يهلكون من القسوة والانهاك وسوء التغذية، وهكذا كان قراقوش خلال انجازه لكل تلك الأعمال مسئولا فى نظر العامة عن كل الضحايا التي تتساقط ألوفاً فى سبيل الإشادة بمقدرته وعزمه وكفايته. ولكن ماهى الأسباب التي دفعت ابن مماتي لكتابة مؤلفه الفريد الفاشوش فى حكم قراقوش؟ فى الحقيقة إننا حتى نستطيع أن نحدد تلك الأسباب فلا بد لنا من إلقاء نظره سريعه علي أوضاع الأقباط واليهود في مصر فى كلا من العصرين الفاطمى والأيوبي لكون ابن مماتي ولد سنة 1149 م أى فى السنوات الأخيرة من حكم الدولة الفاطمية ، ولد لأسرة مسيحية من اسيوط ، نزحت إلى القاهرة في العصر الفاطمي، واستطاع جده ( ابو المليح مينا )، أن يتولى فى عهد أمير الجيوش بدر الجمالى وزير المستنصر بالله الفاطمى منصب مستوفى الدواوين ، أما أبوه المذهب فقد تولى رئاسة ديوان الجيش.

حيث كان الأقباط واليهود يمثلون عنصرا هاما في مصر ، وقد استفادوا من روح التسامح التي سادت في العصر الفاطمي، باستثناء فترة خلافة الحاكم بأمر الله ، كما استفاد الفاطميون من مهارة الأقباط في الشؤون المالية ، وأسندوا إليهم العديد من المناصب الهامة ، كذلك فعلوا مع اليهود، وتقدم لنا أوراق(جنيزة القاهرة) صورة مفصلة عن المجتمع اليهودي فى مصر، كما توضح لنا هذه الأوراق مدى التسامح الديني الذى كان سائدا في مصر الفاطمية ، حيث كان الأقباط واليهود يعيشون جنبا إلى جنب مع المسلمين ، ومن الأمثلة التي تروى هنا، أن العزيز بالله الفاطمي كان متزوجا من مسيحية على المذهب الملكاني فجعل أحد أخويها بطريكا للملكانيين ببيت المقدس ، وجعل شقيقها الآخر مطرانا للقاهرة ، واستمرارا لروح التسامح السائدة ، قام العزيز بالله بتعيين(يعقوب بن كلس) وزيرا ، وهو يهودى اعتنق الإسلام ، وعندما توفى ابن كلس، قام العزيز بدفنه فى قبة كان قد بناها ليدفن هو فيها ثم قام بإسناد دواوين الدولة إلى ( عيسى بن نسطورس) المسيحي، وأتاب على الشام يهوديا يدعى (منشا بن إبراهيم القزاز) ، مما أثار حفيظة المسلمين ضد اليهود والأقباط ، وهنا يروى ابن الجوزي ( أن امرأة من أهل الفسطاط اعترضت طريق الخليفة، وقدمت إليه ورقة كتبت فيها بالذي أعز اليهود بمنشا، والنصارى بابن نسطورس ، وأذل المسلمين بك ، ألا نظرت فى أمري .

**تعليق:** ابن الجوزي كاتب للسلطة العباسية ومدير تشريفات الخليفة (دوادار) وصاحب كتاب "النصر على مصر" احتفالا بنجاح انقلاب صلاح الدين وإطاحته بالحكم الفاطمي في مصر.

\*\*\*

هكذا نَعِمَ أهل الذِمَّة في مصر بروح التسامح تلك ، حتى سقطت الدولة الفاطمية عام 1174 م ، على يد صلاح الدين الأيوبي وقامت الدولة الأيوبية وكانت بدايتها شديدة الوطأة على الكثير من أهل مصر ، من الأقباط، وأمراء البيت الفاطمي ، وغيرهم وكان صلاح الدين الأيوبي قد جاء إلى مصر ثلاث مرات بصحبة عمه أسد الدين شيركوه، وكانت الأولى عام 1164م وهو العام الذي اشتد فيه الصراع بين الوزير الفاطمي شاور ، ونائبه ضرغام الذي استطاع أن يقصى شاور عن كرسي الوزارة، وأن يتولى بنفسه هذا المنصب الخطير ، وهنا لجأ شاور إلى حاكم الشام (نور الدين محمود زنكي ) وطلب منه أن يساعده في صراعه ضد ضرغام، على أن يعطيه ثلث دخل البلاد ، وأن يقنع شاور بما يعطيه له نور الدين محمود وأن (يتصرف على أمره ونهيه واختياره) ، وبالفعل ارسل نور الدين محمود حملة لمصر بقيادة أسد الدين شيركوه لنجدة شاور وحماية مصر من الصليبيين ، وصحب شيركوه معه في هذه الحملة ابن أخيه صلاح الدين ، واستطاع شيركوه أن ينتصر على ضرغام الذي تخلى عنه رجاله وتم قتله ، أما المرة الثانية التي جاء فيها صلاح الدين لمصر فكانت عام 1167 م، جاء فيها بصحبة عمه أسد الدين شيركوه، وكان حضورهم إلى مصر بناء على طلب الخليفة العاضد ، الذي أرسل إلى نور الدين محمود يستنجد به ضد شاور الذي استبد بالأمر وظلم وسفك الدماء وهنا استنجد شاور بالصليبيين وتعهد لعموري الأول ملك بيت المقدس بدفع 400 ألف دينار إذا مانجح في طرد شيركوه الذي استطاع أن يهزم الصليبيين ، ولكنهم لم يتركوا مصر إلا بعد أن ألزموا الفاطميين بجزية سنوية قدرها 100 ألف دينار ، بالإضافة لبقاء قوة من الصليبيين لحماية أبواب القاهرة، مع مندوب عن الملك الصليبي يشارك في أمور الحكم، و انتهت الحملة باتفاق شيركوه والصليبيين على الخروج من مصر.

أما المرة الثالثة التي جاء فيها صلاح الدين مع عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر ، فكانت عام 1168 م بناء على طلب شاور ، الذي شعر بمدى استياء المصريين من الوجود الصليبي الذي أنزل الضرر بأهل البلاد (وحكموا على المسلمين حكما جائرا وركبوهم بالأذى) كما قال ابن الأثير ، وفي هذه الأثناء خرج عموري على رأس جيشه قاصدا مصر ، فأرسل الخليفة الفاطمي (نور الدين محمود) يعرض عليه ثلث بلاد مصر إذا أنقذه من الصليبيين ، وعندما وصل الصليبيون إلى بلبيس، قاومتهم ، وأغلقت أبوابها في وجههم، فحاصروها، وتم فتحها عنوه ، وقتل من أهلها خلقا عظيما ، وخرّب أكثرها ، وأحرقوا جل دورها، وعندما وصل شيركوه إلى مصر وبصحبه صلاح الدين الأيوبي، التف المصريون حوله مرحبين بحفاوة كرد فعل لما اقترفه الصليبيون في بلبيس من تنكيل بأهلها، فلما علم بذلك عموري ارتد عائدا إلى بلاده يجر أذيال الخيبة ، أما الخليفة الفاطمي فقد استدعى شيركوه وخلع عليه خلعة الوزارة ، فقام شاور بتدبير مؤامرة لقتل شيركوه، الذي بلغه أمرها ، فاتفق مع الأمراء على قتله ووافق الخليفة ، فتم قتل شاور.

**ظل شيركوه في الوزارة نحو شهرين ، ثم مات، فاستدعى العاضد صلاح الدين وخلع عليه خلعة الوزارة ، ولقبه بالملك الناصر ، وكان صلاح الدين في الحادية والثلاثين من عمره وكان العاضد يعتقد أن صلاح الدين أضعف جانبا من عمه ، وأنه يستطيع أن يسيطر عليه، ولكنه كان واهما ، ذلك ان صلاح الدين ما كاد يتسلم زمام الأمور حتى حجر على العاضد ، ومنعه من كل تصرف ، وعزل رجال الدولة المصريين من كل سلطة ، واستقدم أباه وأخوته وسائر أهله من الشام وولاهم المناصب الهامة، ثم استولى صلاح الدين على دور الأمراء الفاطميون واقطاعاتهم**



، ووهبها لأصحابه وأهله ، فكان القصر الشرقي الكبير من نصيب زوجته ، وأسكن أباه منظرة اللؤلؤة على الخليج، وفرق على الأمراء بقية القصور وكان صلاح الدين قد أمر تابعيه من أمراء الشام ( بأن يمضوا إلى بيوت الأمراء المصريين في الليل بأجنادهم فما أن يخرج الأمير من منزله ليصير إلى الخدمة كعادته فإذا بالأمير الشامي الذي عين يقوم بالقبض عليه ويوثقه ويهجم بمن معه على داره فيملكها بجميع ماتحتوى عليه من أهل ومال وعبيد وخيول وجوار وما له من اقطاع ) ، أما قراقوش فقد أصبح مسئولا عن القصور الفاطمية التي لم يجد فيها كثيرا من المال، ولكنه وجد من الفرش والسلاح والذخائر والتحف ما يخرج عن الإحصاء، كما وجدوا من الأشياء الغريبة ماتخلو الدنيا من مثله، أما عن المكتبة فقد وجدوا فيها من الكتب النفيسة ما لا يعد ، ويقال انها كانت الف الف وستمائة الف كتاب ، باع صلاح الدين كل ذلك واستمر البيع فيها لمدة عشر سنوات . وعندما توفي العاضد ، ارسل ابنه (داوود) لصلاح الدين كي يبايعه، فامتنع وبعث إليه يقول أنا نائبا عن أبيك في الخلافة، ولم يوصي بأنك ول عهده و قبض عليه وعلى بقية أولاد العاضد وأقاربه واخرجهم من القصر إلى دار المظفر بحارة برجوان، كما قام بفصل الرجال عن الإناث حتى لا يتكاثرون ، ونتيجة لكل ما حل بالفاطميين من شذائد قام مؤتمن الخلافة (رئيس بلاط قصر الخليفة) بتدبير مؤامرة لقتل صلاح الدين ، كما حاول أن يتصل بالصلبيين ، ولكن مؤامرتة كُشِفَتْ، فقام صلاح الدين بقتله ، كما قام بإبعاد كل الخدم من السودان عن قصر الخليفة الفاطمي واستعان على الجميع بأكثر رجاله قسوه وأكثرهم ولاء له وهو بهاء الدين قراقوش ، ولم يكن يجرى أى شئ فى القصر إلا بأمره ، وتتبع صلاح الدين كل محبى الدولة الفاطمية فقتل منهم الكثيرين ، كما قبض على كثير من السودان وقاموا بكيهم بالنار فى وجوههم وصدورهم، أما جند السودان فقد غضبوا لقتل مؤتمن الخلافة ، كما عز عليهم استبعادهم وضياع نفوذهم ، وعندما بلغ عددهم خمسون ألفا وتفاقت ثورتهم ، لجأ صلاح الدين إلى إشعال النار فى مساكنهم ليلا، فطلبوا الأمان، وفى أغسطس 1169 م انتقلوا إلى الجيزة ، فأرسل إليهم صلاح الدين أخاه (توران شاه) فأبادهم بالسيف، وكان الخليفة العاضد يعتقد أن جند السودان سينتصرون، فأمر من القصر أن يقذفوا عساكر صلاح الدين بالنشاب والحجارة، فهددهم (توران شاه) شقيق صلاح الدين بحرق قصر العاضد ، وإحراق منظرة الخليفة ، فغير العاضد موقفه وتخلى عن جند السودان الذين جننوا وفروا ، ولم يبق أمام صلاح الدين سوى حرس الخليفة من الأرمن، فأشعل النار فى ثكناتهم وقضى عليهم ، ونعود أخيرا للأقباط الذين تعرضوا أيضا للاضطهاد من قبل صلاح الدين، الذى وجه أمرا للقاضي الفاضل بعدم استخدام النصارى فى النظارة على أموال الدولة ولا كمشرفين على الأراضي، وهنا اضطرت أسرة ابن مماتي لاعتناق الاسلام حتى لايفقد كبارها مراكزهم الهامة فى الدولة، وبالفعل قرب صلاح الدين ابن مماتي منه وجعله قيما على ديوان الجيش والمالية فأحسن تدبيرهما ، ومن هنا يرى البعض أن ابن مماتي الذى عاش اضطهاد الأيوبيين للقبط وشدة بأسهم وقسوة صلاح الدين المفرطة مع الفاطميين ، فأراد أن يكيد للايوبيين فتعقب واحدا من أهم ركائز هذه الدولة والساعد الأيمن لصلاح الدين وهو قراقوش وخصه بكتابه الفاشوش فى حكم قراقوش.

وفى النهاية فإن شعراء العصر الفاطمة ومنهم (عمارة بن على اليمنى) قد طالتهم أيضا يد صلاح الدين ، الذى قام بقتل عمارة، وتلك بعض من ابيات كتبها عمارة اليمنى بعد زوال الدولة الفاطمية، فأتت الأبيات أشبه ماتكون ببكائيه ورثاء على أطلال دولة الفاطميين.

رمى يداه كرمجد بالشلل

وجيده بعد حسن الحلى بالعطل

هدمت قاعدة المعروف عن عجل

سقيت مهلا ، أما تمشى على مهل  
لهفى ولهف بنى الآمال قاطبة  
على فجيعتنا فى أكرم الدول  
ياعاذلى فى هوى أبناء فاطمة  
لك الملامة أن قصرت فى عذلى  
بالله زر ساحة القصرين وابتك معى  
عنهما لاعلى صفيين والجمل  
مررت بالقصر والأركان خالية  
من الوفود وكانت قبلة القبل  
أبكى على مؤثرات من مكارمكم  
حال الزمان عليها وهى لم تحل  
ولا رأى جنة الله التى خلقت  
من خان عهد الامام العاضد بن على  
تالله لم أوفهم فى المدح حقهم  
لأن فضلهم كالوابل الهطل  
والله لازلت عن حبي لهم أبدا  
ما أكر الله لى فى مدة الأجل

كما قال فيهم:

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم  
وعاش قوم وهم فى الناس أموات  
يارب ان كان لى فى وصلهم طمع  
عجل على فى التأخير آفات  
وأخيرا فتلك هى الأبيات التى وجدوها على جدران قصر العاضد  
يا هذه الدنيا عجت لمولع  
بك كيف أضحى فى هواك يقاد  
ماصح منك لأل أحمد موعد

فكيف منك لغيرهم ميعاد  
أما نعيمك فهو ظل زائل  
وصلاح مأتية فهو فساد

نقلا عن مجموعة | انغام التاريخ | للدكتورة ثناء حامد

\*\*\*

عن أبي بكر الصديق أنه قال أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه

من أعلام السلاطين الأيوبية:

"فحل" آل أيوب ..

المك العادل

أهم الملوك الأيوبية وقائدهم الحقيقي

وكان أكلًا نهما ، يأكل خروفا مشويا بمفرده ، وله إقتدار زائد علي النكاح ، ومُتَّع في دنياه بأرغد عيش ، و"تمكَّن من السعادة في سائر أحواله " المقرئزي (ص 312 ج 1) السلوك

الملك العادل يدمر مستقبل الملك الأفضل علي بن صلاح الدين

يقول المقرئزي في صفحة(312):

من أعجب الإتفاقات أن الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف لم يملك مملكة إلا وأخذها عمه العادل منه : فأول ذلك أن أباه صلاح الدين الأيوبي أقطعة حران والرُّها و ميافارقين في سنة خمسمائة ست وثمانين ، فسار إليها ، حتي إذا بلغ حلب رده أبوه وبعث الملك العادل بدله ، ثم ملك الأفضل بعد أبيه دمشق ، فأخذها العادل منه ، ثم ملك مصر بعد ذلك ، فأخذها منه العادل ، ثم ملك صرخد ، فأخذها منه العادل ، وعوضه قلعة نجم وسروج ، ثم استرجعها منه بعد ذلك .

وفي ذلك كتب الملك الأفضل رسالة إلي الخليفة العباسي الظاهر في بغداد يشكوا إليه اضطهاد عمه واخوانه وتعديهم علي حقوقه، ويشبه قصته بما حدث للأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع الخلفاء الراشدين عمر وأبو بكر رضي الله عنهما..

## مناجاة شعرية بن الخليفة الناصر والملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي

سنة ستمائة وأثنى عشر (622 هـ) - (ص 312 ج 1) السلوك

وفيها مات الملك الأفضل علي ابن صلاح الدين يوسف ، صاحب سميساط.

فجأة (تعبير يخفى خبر أنه مات مسموما) بسميساط في صفر ، ومولده بمصر يوم عيد الفطر سنة خمس وقيل ست وستين وخمسائة ، وهو أكبر أولاد أبيه ، وإليه كانت ولاية عهده ، وسمع الأفضل من ابن عوف وابن بري ، وأستقل بمملكة دمشق بعد موت أبيه ، فلم ينتظم له أمر لقلة حظه ، وأخذها منه أخوه العزيز عثمان ، صاحب مصر ، ثم صار الأفضل أتابكا للمنصور ابن العزيز بمصر ، وحصر دمشق ، وبها عمه العادل ، وفي أثره عمه العادل ، فإنتزع منه مصر ، ولم يبق معه سوى صرخد ، ثم قصد الأفضل دمشق ثانيا ، مع أخيه الظاهر غازي صاحب حلب ، فلم يتم أمرهما لاختلافهما ، وصار بيده سميساط لا غير ، فلما مات أخوه الظاهر طمع في حلب ، وخرج إليها مع السلطان عز الدين كيكافوس السلجوقي ملك الروم ، فلم يتم لهما أمر ، وعاد الأفضل إلي سميساط ، فلم يزل بها يتجرع الغصص حتي مات كمدا ، وكان فاضلا أديبا حليما ، حسن السيرة متجاوزا، يكتب الخط المليح ، جامعا لعدة مناقب ، الا أنه كان قليل الحظ ، وشغره جيد ، كتب إلي الخليفة الناصر لدين الله ، لما أنتزع منه دمشق أخوه عثمان وعمه العادل ابوبكر في سنة خمسائة أثنى عشر وتسعين (592 هـ) كتابا يشكو إليه أغتصابهما ميراثه من أبيه ، وأوله:

مولاي إن أبابكر وصاحبه عثمان .. قد أخذنا بالسيف إرث علي

فأنظر إلي حظ هذا أقسم كيف لقي .. من الأواخر مالاقي من الأول

وله أيضا في معناه :

أما آن للسعد الذي أنا طالب .. لإدراكه يوما يري وهو طالبي

تري هل يريني الدهر أيدي شيعتي .. تمكن يوما من نواصي النواصب

فأجاب الخليفة بقولة :

وافي كتابك ياابن يوسف معلنا .. بالود يخبر أن أصلك طاهر

غصبوا عليا حقه إذ لم يكن .. بعد النبي له بيثرب ناصر

فأبشر فإن غداً يكون حسابهم .. واصبر فناصرك الإمام الناصر

ومن شعره:

أيا من يسود شعره بخضابه ... لعساه من أهل الشبيبة يحصل

ها فإختضب بسواد حظي مرة ... ولك اللمان بأنه لا ينصل

وقام من بعده بسميساط أخوه الملك المفضل قطب الدين موسي شقيقة.

## ال خليفة الناصر لدين الله

وفي شعره وعد بمناصرة الملك الأفضل لاستعادة حقوقه / اصبر فناصرك الإمام الناصر/. كما أن الدولة الأيوبية العميقة لم تمهل الملك الأفضل ولى عهد صلاح الدين. أذ طارده عمه فطرده من كل منصب تولاه. إلى أن قتل مسموماً في سميساط".

وهذا يوضح الدور الخطير للدولة العميقة في ضبط المسار العقائدي للدولة الرسمية . والقتل وسيلة معتادة لخلع حاكم وتعيين آخر. أو تحويل الخليفة المغضوب عليه إلى متسول على أبواب المساجد. أو مكحولا أعمى في جب عميق حتى يموت أو ينساه الناس.

الملك العادل فحل الأيوبيين (أبو بكر بن أيوب) يحقق أحلامه

يواصل المقرئ فيقول : فلما تمهدت للملك العادل الممالك.(ص 312 ج 1) السلوك

**تعليق:** حيث انه ابتلع الإمبراطورية الأيوبية التي أفنى فيها صلاح الدين حياته. ( نلاحظ تكرار السنة التي اخترعها مروان بن الحكم الذي صبر رابضاً تحت جناح الخليفة الراشد عثمان رضى الله عنه حتى تمكن من القضاء عليه وعلى الخلافة الراشدة لصلاح مملكة بنى أمية، حتى انقض في الأخير واغتصب ملك الأمويين وحوّله إلى ذريته المروانية).نجح العادل في تطبيق السنة المروانية واستولى على الإمبراطورية الأيوبية لنفسه ولأولاده.

\*\*\*

يقول المقرئ في كتابه السلوك: فقسمها بين أولاده ، فملك (يقصد العادل) وأولاده من خلاط إلى اليمن ، ودانت لهم العباد، وملكوا خيار البلاد ، وكان كثيراً ما يتردد العادل في ممالك أولاده ، وأكثر أوقاته يصيف بدمشق ، ويشتي بمصر.

ومات الملك العادل عن خمس وسبعين وقيل ثلاث وسبعين سنة وترك مالا كثيراً ، منه في خزائنه التي استولي عليها أبنة معظم سبعمائة الف دينار مصرية .

سوي ما كان له في الكرك ، فإحتوي عليه أيضا ابنه الملك المعظم ، وكتب المعظم إلي أخواته بموت أبيه ، فجلس الملك الكامل للعزاء في معسكره بظاهر دمياط ، وإرتاع لموت أبيه خوفا من الفرنج .

**تعليق:** الملك العادل هو أخو صلاح الدين الأيوبي وكان ذراعه الأيمن في معارك الشام في وقت كان أبناء صلاح الدين مازالوا صغارا لا يعتمد عليهم وكان العادل في تلك المعارك فعالا. ولكنه تصرف وكأنه قائد جيش خاص أو عصابة مسلحة تابعة له ، فكان يستولي علي الأماكن أو الحصون ويهدمها ويحرقها كما هو متبع في السياسة الأيوبية الرسمية.

أما الغنائم من أموال وأسري وسبايا وخيل فكانت شيء آخر ، يوزعها حسب وجهة نظرة وتلك كانت سياسة أيوبية لا تلتزم بأحكام الشرع في معظم الأحوال.

وقوفه إلي جانب أخيه صلاح الدين في المعارك وفي إدارة الدولة سواء في الشام أو في القاهرة أكسبته قدرة كبيرة علي الإدارة ومعرفة دقائق الأمور .

ولكن بينما كان صلاح الدين قد وهب حياته كلها لحلمه الشخصي بان يكون محرر القدس وما سوى ذلك كان مجرد وسائل للوصول إلي الهدف الأكبر سواء كانت تلك الوسائل مشروعة أو غير مشروعة.

أما العادل فكان طموحه لمصالحه ومكانته فكان يطمع ليس في القدس ولكن في إمبراطورية كبيرة، حققها بالفعل، من باطن حلم ومجهودات أخيه. وقد امتدت الامبراطورية الأيوبية من عراق العجم وديار بكر إلي اليمن والحجاز ومصر وجزء من المغرب العربي.

وبحنكته استطاع أن يجمع ثروة طائلة لنفسه، ومعظمها صادرها ابنه "المعظم" الذي تولى حكم دمشق مباشرة بعد وفاة أبيه العادل فقد استولى المعظم علي جميع أموال أبيه، فلم يسمح لأحد من أصحاب الحق في الميراث أن يحصل علي شيء ولم يثبت أنه أعطي أي صاحب حق حقه وتلك أيضا سياسة أيوبية ثابتة إزاء باقي المسلمين وليس مع الفرنجة.

العادل أيضا سبقه في تلك الميزة وهي اغتصاب الحقوق من أصحابها. كما أنه جمع من السلطة علي قدر الإمكان بين يده ولولا قوة شخصية صلاح الدين وبطشه لأزاحه العادل من الحكم وتسلطن بدلا عنه.

وفي قرارة نفسه كان يعتقد أنه هو الأصلح والأولي بالحكم فقد وزع صلاح الدين أهم المناطق في الإمبراطورية علي أولاده ومنح الطرف الشرقي منها (البلاد الشرقية) لأخيه العادل ولكن العادل بذكائه أستطاع أن يتلاعب بالملوك الأيوبيين الذين استولوا علي البلاد طبقا لوصية صلاح الدين واستخدم المكيدة في الإيقاع بينهم وإشعال الحروب بين الدويلات الأيوبية في الشام ومصر ، حتي صار هو أقوى شخصية في الأيوبيين وعميد العائلة الأيوبية كما وصفه أحد كبار الأمراء، خاصة عندما تمكن العادل من أن يكون الحاكم الحقيقي لمصر وتكون في قبضته وأن يحول الملك العزيز ابن صلاح الدين سلطان "سكة" علي مصر (يمعنى أنه سلطان شكلي) وبلا سلطات سوي طباعة اسمه علي العملة المعدنية "السكة".

وعندما أمر صلاح الدين قبل وفاته أن تكون مصر من نصيب ولده العزيز طلب من أخيه العادل أن يذهب معه لمساعدته في ضبط أمورها، وقد فعل العادل عكس ذلك تماما فقد أفسد جميع أمور مصر حتى أوصلها إلي الإفلاس والمجاعة حتي يتخلص من العزيز وتسقط مصر في يده.



## مصر في مجاعة تحت الاقتصاد الأيوبي المنحرف

### خمر ودعارة

وحتى السلطان العزيز الذي كان يتميز بالشهامة وعزة النفس اضطر تحت ضغط الفقر والحاجة وإفلاس الدولة أن يتحول إلى رأس للفساد، وتلبية احتياجات بيته وقصوره بالسطو على الأسواق. وإباحة صناعة وبيع الخمر وافتتاح الخمارات. وصرح بعمل "القيان" (الجواري المغنيات) مقابل دفع ضرائب وتوزيع الخمر. بينما البلد في حالة مجاعة ويموت الناس في الشوارع وداخل البيوت.

الملك العادل كان الحاكم الفعلي لمصر فزعزع استقرارها الإداري والاقتصادي، وقوى مراكز رجاله والموالين له في أجهزة الدولة من دواوين وقضاء حتي وصلت مصر إلي أسوأ حال وصلت اليه في تاريخها كما سنري في شهادة المقريري عن الكوارث التي حدثت عام خمسمئة وأثنين وتسعين، حين ضربت المجاعة مصر وانهارت الأخلاق العامة بين الناس وانتشر القتل والخمر وكافة المنكرات بدون أن يتصدي لها أحد.

كل ذلك بفعل التدبير السيئ المتعمد من جانب الملك العادل. بالطبع كانت الحروب التي شاركت فيها مصر بقيادة الملك العزيز وعمه العادل ضد الملوك الأيوبيين في دمشق وحمص وحلب كانت تلك الحروب في معظمها بتحريض وتآمر عمهم الملك العادل وقد اكتشف العزيز ذلك متأخرا فلم يتمكن من علاج الموقف، فقد فات الأوان وعندما حاول تحذير أخيه الملك الأفضل سلطان دمشق، تصور الأفضل أنها مؤامرة أخرى ضده يرتبها العزيز مع عمه العادل. فكشف الأمر للعادل الذي اشتد غضبه وحققه على العزيز.

ومع ذلك كان المقريري يري في (العادل) الملك الصالح الذي يحافظ علي أداء الصلوات في أوقاتها!!!". ويجب السنة!!! ويكرم العلماء وذلك جرياً علي عادة العلماء ومؤرخي السلطة الذين يكتفون بالشكيات ولا يبالون بحقيقة الحكم وأداء الحاكم لواجباته الشرعية وإقامة العدل والدين في المجتمع .

نتيجة إفساد الملك العادل تزلزلت مكانة الكامل (صاحب مصر) وأراد الأمراء ان يخلعوه وتمليك أخيه الفائز إبراهيم بدلا عنه . أثناء احتدام حرب دمياط .

### مصر تحت الكابوس الأيوبي

سنة ستمائة وثمانية [ 608 هـ ]

وفيها نقل أولاد العاضد الفاطمي وأقاربه إلي قلعة الجبل في يوم الخميس ثاني عشري رمضان ، وتولي وضع القيود في أرجلهم الأمير فخر الدين ألتونبا أبو شعرة بن الدويك ، والي القاهرة ، وكانت عدتهم ثلاثة وستون نفسا .(وقد مضى على اعتقالهم 41 عاما) . (ص 293 ج 1) السلوك

## أفراح آل أيوب

سنة ستمائة وتسعة (609 هـ)

وفيها قديم شداد من حلب إلي دمشق بمال كثير وخلع ، برسم عقد نكاح صفية خاتون أبنة العادل علي ابن عمها الظاهر صاحب حلب، فخرج إلي لقائه عامة الأمراء والأعيان ، وعقد النكاح في المحرم علي مبلغ خمسين ألف دينار، ونثر النثار علي من حضر القلعة دمشق ، وذلك في المحرم ، ثم جهزت إليه بحلب في تجميل عظيم ، من جملة قماش وآلات ومصاغ يحمله خمسون بغلا ، ومائة جمل ، منهن مائة مغنية يلعبن بأنواع الملهي ، ومائة جارية يعملن أنواع الصنائع البديعة ، فكان دخولها إلي حلب يوما عظيما ، وقدم لها الظاهر تقادم: منها خمسة عقود جواهر بمائة وخمسين ألف درهم ، وعصابة جوهر لا نظير لها ، وعشر قلائد عنبر مذهب ، وخمس قلائد بغير ذهب ، ومائة وسبعون قطعة من ذهب وفضة وعشرون تختا من ثياب ، وعشرون جارية ، وعشرة خدم . (ص 295 ج 1) السلوك

سنة ستمائة وعشر [610 هـ]

فيها تخوف الظاهر (ابن صلاح الدين الأيوبي) صاحب حلب من عمه العادل ، وأخذ في الاستعداد ، ثم تراسلا حتي سكن الحال.

وفيها ولدت صفية أبنة العادل لأبن عمها الظاهر مولودا سماه محمد ولقبة بالملك العزيز غياث الدين ، وذلك في خامس ذي الحجة ، فزينت حلب ، وأحتفل الظاهر احتفالا زائدا ، وأمل فصيح له من الذهب والفضة جميع الصور والأشكال ما وزن بالقناطر ، وصاغ له عشرة مهود من الذهب وفضة ، سوي ما عمل من الأبنوس والصندل والعود وغيره ، ونسج للصبي ثلاث فرجيات من لؤلؤ ، في كل فرجية أربعون حبة ياقوت و لعل وزمرد ، ودرعان وخوذتان وبركستون ، كل ذلك من لؤلؤ وثلاثة سروج مجوهره ، في كل سرج عدة قطع من جوهر رائع وياقوت وزمرد ، وثلاثة سيوف علائقها وقبضاتها من ذهب مرصع بأنواع الجواهر ، وعدة رماح من ذهب أسنتها جوهر . (ص 297 ج 1) السلوك

الظاهر خضر بن صلاح الدين الأيوبي (ممنوع من الحج بأمر من ابن أيوب صاحب حلب: فلما قارب مكة صدّه قُصّاد الملك الكامل محمد بن العادل عن الحج ، وقالوا (أنما جئت لأخذ بلاد اليمن ) فقال الظاهر خضر: يا قوم اقيدوني ، ودعوني أقضي مناسك الحج ، فقالوا : (ليس معنا مرسوم الا بردك ) فرد إلي الشام من غير أن يحج ، فتألم الناس لذلك .

سنة ستمائة إحدى عشر (611 هـ)

(ص 299 ج 1) السلوك

وفيها فرّ الملك المنصور أبن العزيز عثمان ابن صلاح الدين يوسف من إعتقال عم أبيه الملك العادل ، ولحق بالظاهر (صاحب حلب) بن صلاح الدين الأيوبي ، ولاد به هو وإخوته ، فأكرمهم الظاهر.

وفيه خرج الملك العادل من الشام يريد مصر ، فنزل في القاهرة بدار الوزارة واستمر ابنه الملك الكامل بقلعة الجبل ، وأمر العادل أن يقيم معه كليام الفرنجي الجنوي بدار الوزارة .

كان أبناء الخليفة العاضد وبقايا أولاده مكبلين بالسلاسل علي مسافة قريبة في قلعة الجبل .

وفى ذلك إعادة تأكيد على ان العداء الحقيقي للأيوبيين مجددى اليزيدية كان يتجه صوب الفاطميين (حيث العداء العقائدى) وليس إلى الفرنجة حيث قاعدة عقائدية مشتركة على أساس الحكم الهرقلي الوراثي الذى يوحد شخص الإمبراطور الحاكم مالك الدنيا والدين.

### أفحش ما مرَّ على مصر من سنوات (592 هـ)

وكانت هذه سنة لم يتقدمها أفحش منها ، ولا أعلم أن همة من الهمم القاصرة انحطت إلي مثلها. (ص 248 ج 1) السلوك

وتفشت المنكرات القبيحة وتلوث النيل بالمعاصي

### سنة خمسمائة وأثنين وتسعين (592هـ)

ورد الخبر في تاسع صفر بأن تابوت الملك الناصر صلاح الدين نقل في يوم عاشوراء من قلعة دمشق إلي تربة (قبر) عملت له ، فكان يوما مشهودا. (ص 244 ج 1) السلوك

### والصبر والسلوان لشعب مصر

في عهد السلطان العزيز الأيوبي 592هـ في صفر وشهر ربيع الأول: كثرت الطرحي من الأموات علي الطرقات وزادت عدتهم بمصر والقاهرة في كل يوم عن مائتي نفس، وبقي بمصر من لم يوجد من يكفنه ، وأكثرهم يموت جوعا.

وانتهى القمح إلي مائة وثمانين دينارا المائة أردب ، والخبز إلي ثلاثة أرطال بدرهم ، وعمد الضعفاء إلي شراء الجرار ، وغدوا إلي البحر(النيل) وترددوا إليه ، ليستقوا منه في الجرار ، ويبيعوها بثمن درهم الجرة ، وقد لا يجدون من يشتريها منهم ، فيصيحون : (من يتصدق ويبيعونها بثمن درهم الجرة ، وقد لا يجدون من يشتريها منهم ، فيصيحون

: من يتصدق علينا بثمن هذه الجرة ، ومن يشتريها من بكسرة ؟ وزاد السعر وضاق الخناق وهلك الضعفاء ، وفشا الموت وأكثره في الجيع .

وصارت الأقفاص التي يحمل فيها الطعام يحمل فيها الأموات ، ولا يقدر علي النعوش الا بالنوبة ، وامتدت الأيدي إلي خطف ألواح الخبز ويضرب من ينهب ، ويشج رأسه ، ويسال دمه ، ولا ينتهي ولا يرمي ما في يده مما خطفه ، وعدم القمح إلا من جهة الشريف ابن ثعلب فإن مراكبه تتواصل / من الصعيد/وتبيع بشوئه .

**تعليق :** إنه قمع الصعيد والقادم من الشريف بن ثعلب الذي شن ضده السلطان ايبك أول سلاطين المماليك في مصر حملة إباده عرقه وشنق من رجاله (الفين وستمائة شخص) وعلق جثثهم ما بين بلبيس والقاهرة كما قتل آلاف من سكان الصعيد الذين ثاروا ضد المماليك وقد كرر تلك الحملات حكام آخرون من المماليك.

ثم غزا سليم الأول مصر مطاردا بجيوشه الثوار المصريين الذين كان يقودهم السلطان طومان باي "**سيدي المتولي**" وكرر ما فعله المماليك من قبل في نفس المناطق كانوا جميعا محسوبين علي المتعاطفين مع الدولة الفاطمية الذين واظب الأيوبيين علي إبقائهم في السجون مكبلين. بل نقلوهم في آخر الامر إلي سجن في الشام حتي يقطع حذورهم من مصر تماما .

فقد ظن الأيوبيون إلى آخر عمر الدولة الأيوبية ، أن أخطر أعدائهم هم العائلة الفاطمية التي ظلت تحضي في مصر بشعبية تفوق شعبية الأيوبيين نظرا للفارق الكبير في طريقة الحكم ما بين البطش والنهب الأيوبي وبين محاولات بسط العدل التي قام بها الفاطميون في مصر .

وورد الخبر بأن عربان الغرب هبطوا إلي البحيرة واشتروا القمح كله الويبة بدينار. (ص 244 ج 1) السلوك

وأن بلاد الغرب قد عدت فيها الأقوات في السنة الخالية وإنقطعت عنها الأمطار السنة الحاضرة وزاد الجراد بالشام وعظم خطبه وكثرت بمصر والقاهرة الأمراض الحادة والحميات المُخْرِقة ، وزادت وأفرطت. وغلت الأشربة والسكر وعقاقير العطار ، وبيعت بطيخة بأربعة وعشرين درهما ، وصار الفروج لا يقدر عليه ، وأنتهي سعر القمح إلي مائتي دينار كل مائة أردب ، وغلظ الأمر في الغلاء وعدم القوت وكثر الموتى بالجوع . وخطف الخبز متي ظهر ، وشوهد من يسف التراب ومن يأكل الزبل .

**(أموت فيك ياعسل)!!!.. نكبة حوّلها الجوعى المصريون إلى نكتة**

(ص 244 ج 1) السلوك

يقول المقرئ في عام 592 هـ في زمن العزيز الأيوبي ازدحم الناس علي الطير الذي يرمي من مطابخ السُكَّر.

**تعليق:** الطير في لغة المصريين هو الذباب وبالطبع يكثر في مطابخ السكر ويسقط في القدور فيجمعه العمال ويرمونّه خارج المطابخ. وفي ظروف المجاعات يعتبر هذا الذباب حلوى وغذاء للجوعى. فيتزاحمون عليه وربما يتقاتلون. في مثل تلك المواقف تنطلق قريحة المصريين بالنكات التي تتخطى المأساة فتحوّلها إلى سخرية من كل شيء . كأن يخاطب أحد الجوعى ذلك الذباب السُكَّرِي السريع قائلا: (أموت فيك ياعسل). أي كما مات في العسل ذلك الذباب سعيد الحظ. فتحوّلت تلك الفكاهة المريرة إلى واحدة من أشهر عبارات الغزل لدى عوام المصريين حتى الآن. وربما كانت هي أشهر النكات المصرية في العصر الأيوبي.

...تابع فقرة : ياعسل

أصيبت موهبة المصريين في التنكيت بنكسة كبيرة نتيجة تدهور الأوضاع المعيشية بأكثر من قدرتهم علي الإحتمال. فقد وصل بهم الحال إلي (سَفُ التراب) كما قال المقرئزي الذي تكلم عن أكل القطط والكلاب .

كما أكلوا روث البهائم وبقايا طعام الحيوانات وهو ما قال عن المقرئزي (كناسات الآدر).

يحتاج البحث عن إنتاج المصريين للنكات في تلك المرحلة إلي المزيد من التقصى ليس في كتب التاريخ بل في الأدب الشعبي الذي مازال يحتفظ بأثار تلك المرحلة .

ويعتبر ديوانا تاريخياً وسياسياً بقلم الشعب المصري وحكمته ومن المحتمل أن تكون أقوال مثل (أكثر من الفضائح يامن أنت رائح) واحدة من بقايا الحكم المصرية في أواخر العهد الأيوبي عندما بدأت تتزداد فضائح السلاطين.

ومعني القول المصري هو أن الأيوبيين سيفعلون كما فعل الطغاة الذين احتلوا مصر قبلهم، يسرقون البلد ويتركوه هارين وهو ما فعله جميع المحتلين فكان همهم السرقة والنهب ثم الرحيل إلي بلادهم .

ماعادا الفاطميين الذين جاءوا بأموالهم وأولادهم وقبور أجدادهم ليقيموا في مصر إلي الأبد ويتخذوها وطنًا.

ولكن الأيوبيين أبادوهم وتابع المماليك إبادتهم حتي أواسط الحكم المملوكي لمصر. فإذا ظهر من الحاكم كثرة الفضائح والتباهي بها فهم المصريون أنه سوف يفر من البلد أو يُقتل فيها فأطلقوا تلك الإشارة علي الفاسدين في نهاية حكمهم وقالوا لهم: أكثر من الفضائح يامن انت رايح .

وفي ذلك العام (592 هـ) كثرت الأموات أيضا في الإسكندرية ، وتزايد وجود الطرحي بها علي الطرقات وعدمت المواساة ، وعظم هلاك الأغنياء والفقراء وانكشاف الأحوال وشوهد من يبحث في المزابل القديمة عن قشور الترمس ونقاضات الموائد و كناسات الآدر (وهي الماشية الحلوب) أي بقايا روث الأبقار والإبل ، ومن يقفل بابه ويموت ، ومن عمي من الجوع ويقف علي الحوانيت ويقول : أشموني رائحة الخبز .

في شهر ربيع الآخر 592هـ : وفيه كثر الموت ، بحيث لم تبق دار إلا وفيها جنازة أو مناحة أو مريض ، واشتد الأمر ، وغلت العقاقير ، وعدم الطبيب وصار من يوجد من الأطباء لا يخلص إليه من شدة الزحام وصار أمر الموتى أكثر أشغال الأحياء ، وما ينقضي يوم إلا عن عدة جناز من كل حارة ، وعدم من يحفر ، وإذا وجد لم يعمق الحفر، فلا يلبث الميت أن تظهر له رائحة وصارت الجبانات لا يستطيع مقالتها ، ولا زيادة قبورها. ثم أخذت الأسعار في الانحلال (الهبوط). بسبب امدادات الصعيد. (ص 245 ج 1) السلوك

## في قطيع الذئاب الأيوبي : المريض يؤكل

في جمادي الأولي : تواترت الأخبار باحتلال الحال بدمشق ، فوقع العزم علي المسير إلي الشام (احتلال الشام) ، ووقع الشروع في الأنفاق في الحاشية ، فقبضوا شهر واحدا ، وكان قد استحق لهم أربعة عشر شهرا ، فإن المادة قصّرت عن نفقة ذلك لهم. فأحيل بعضهم علي جهات (دواوين حكومية أخرى تدفع لهم) ، وإمتنع الجاندرية من

قبض شهر ، وأنهى ذلك إلي العزيز فكتب بإخراجهم إلي المخيم ، ومن تقاعد عن الخروج قيده الطواشي قراقوش ، واستخدمه في (بناء) السور ، وكان المال الذي أنفق في الحاشية قد اقترض من الأمراء .

ووقع الرحيل (نحو الشام) من بركة الجب في ثامنة ، فرحل السلطان العادل والعزيز وجميع الأسدية والمماليك . وفشت الأمراض الحادة ، فما ينقضي وقت الا عن عدد كثير من الجنائز . وغلت الأدوية وبلغ الفروج ثلاثين درهما والبطيخة مائة درهم. وود الخبر بأن قوص وأعمالها فيها أمراض فاشية ، وأموات تتلاحق ، وكثر الوباء والموت بالإسكندرية .

### الصعيد إنقذ مصر من المجاعة.

وفي آخر جماد الأول: انحلت الأسعار ونزلت الغلة إلي ثمانين دينار كل مائة أردب ، وأبيع الخبز سبعة أرطال بدرهم. وقل السؤال (التسول) وأرتفع الموتان(الموت) بعد أن جلب من قوص فراريج أبيع كل عشرة فراريج بسبعة دينار ، ونودي في الناس هذا ابن ثعلب مقدم علي الحاج ، فليتهجز أرباب النيات .

### السلطان العزيز الأيوبي يأكل السُّحت، ويسرق طعامه من الأسواق

سنة خمسمائة أثنين وتسعين: جمادي الآخرة : وقف الحال فيما ينفق في دار السلطان ، وفيما يصرف إلي عيالة ، وفيما يقتات به أولاده ، وأفضى الأمر إلي أن يؤخذ من الأسواق ما لا يوزن له ثمن ، وما يغصب من أربابة ، وأفضى هذا إلي غلاء أسعار المأكولات ، فكان المتعيشين من أرباب الدكاكين يزيدون في الأسعار العامة بقدر ما يؤخذ منهم السلطان، فاقترض ذلك النظر في المكاسب الخبيثة ، وضمن باب المزر والخمر باثني عشر ألف دينار ، وفسح في إظهاره وبيعه في القاعات والخوانيت ، ولم يقدر أحد علي إنكار ذلك وصار ما يؤخذ من هذا النحو ينفق علي طعام السلطان وما يحتاج إليه وصار مال الثغور والجوالي " الجزية" إلي من لا يبالي من أين أخذ المال (المختلسين) . (ص 246 ج 1) السلوك

### الملوك الأيوبيون وهواية تخريب الحصون

وفيه وصل العادل والعزيز إلي الداروم وأمر بإخراص حصنها ، فقسم علي الأمراء والجاندارية فشق علي الناس تخريبه لما كان به من الرفق للمسافرين .

### إحتلال دمشق

وانتهى المليك(العادل والعزيز) إلي دمشق وقد أستعد الأفضل(ابن صلاح الدين وحاكم دمشق للحرب ضد شقيقه العزيز وعمه العادل) في أول شهر رجب فحاصرها إلي أن ملكاها في العشرين منه ، بعد عدة حروب ، خان الأفضل



فيها أمراؤه ، فلما أخذوا المدينة نزل الأفضل من القلعة إليهما ، فأستحيا عمه العادل منه ، لأنه هو الذي حمل العزيز علي ذلك ، ليوطئ لنفسه. وأمره العادل أن يعود إلي القلعة .

ويقال أن الملك العادل كان قد قرر مع الملك العزيز وهو بالقاهرة أن الملك العزيز إذا غلب أخاه الأفضل علي دمشق وأخذها منه أن يقيم بها ويعود العادل إلي مصر نائبا عن العزيز فلما ملك العزيز دمشق ، وأخرج أخاه الأفضل منها ، اكشفت له مستورات مكائد عمه العادل. (ص 247 ج 1) السلوك

ثم رحل عن دمشق في ليلة التاسع منه يريد القاهرة ، واستخلف عمه العادل علي دمشق وسار إلي القدس ، فملكها من أبي الهيجاء السمين وسلمها إلي الأمير شمس الدين سنقر الكبير (معني ذلك أن القدس أصبحت تابعة للقاهرة بعد أن كانت تابعة لدمشق. كان ملوك الأيووية يتقاذفون القدس زاهدين فيها تهربا من تكاليفها وتبعاتها وخوفا من الصليبيين).

ووصل العزيز إلي القاهرة يوم الخميس رابع شهر رمضان فصارت دمشق وأعمالها إقطاعا للملك العادل وليس للعزيز بها سوي الخُطبة والسكة فقط.

### عودة الخمر إلي القاهرة..حتى في رمضان!!

في هذا الشهر رمضان (592 هـ) : غلثا سعر الأعناب لكثرة العصير منها ، وتظاهر به أربابه لتحكير (احتكار) تضمينة السلطاني (رسوم ترخيص امتلاك أو استخدام تجاري) ، واستيفاء رسمه بأيدي مستخدميهم وبلغ ضمانته سبعة عشر ألف دينار وحصل منه شيء حُمِل إلي العزيز فصنع به آلات الشرب!!.

### وتفشّت المنكرات القبيحة وتلوّث النيل بالمعاصي

وفيه كثر اجتماع النساء والرجال علي الخليج لما فتح وعلي ساحل مصر ، وتلوّث النيل بمعاصي قبيحة. واستمر جلوس العزيز للمظالم في يومي الاثنين والخميس!! .

وفي ثاني شوال : كان النوروز، فجري الأمر فيه علي العادة من رش الماء واستجدث فيه التراجم بالبيض والتصافح بالإنطاع .

وتوالت زيادة النيل ، فأفحش الناس فيه إظهار المنكرات ولم ينههم أحد.

### انقطاع موارد الدولة بسبب الفساد

وفيه وقفت وجوه المال ، وانقطعت جباية الديوان بمصر ، وبقيت وجوه قصرت الأيدي عن استخراجها ، وانتمي العاملون إلي من حماهم (أي يسرقون موارد الدولة لصالحه. فصار الفساد دولة داخل دولة ويعيش علي مواردها )

فلم يجسر صاحب الديوان عن أخذ الحق منهم وآل الأمر إلي أن صار ما يقوم برسم طواري السلطان وراتب داره من ضمان(ضرائب) الخمر والمزر .

وكانت هذه سنة (592 هـ) لم يتقدمها أفحش منها ، ولا أعلم أن همه من الهمم القاصرة انحطت إلي مثلها. (ص 248 ج 1) السلوك

## كثرت القتل بالقاهرة بأيدي السكاري ، وأعلن المنكر بها

.. وما زال الحج مستمرا

في رابع عشرة : خرج الشريف ابن ثعلب سائرا بالحاج ، وخيم علي سقاية ريدان (بئر شرب منها السيد المسيح. انظر كتيب "سيدي المتولي" .. معركة الريدانية).

وكثرت القتل بالقاهرة بأيدي السكاري ، وأعلن المنكر بها فلم تنسلخ ليلة الا عن جراح وقتل بين المعربين .

وكثر ذلك حتى خُطِفَت الأمتعة والمأكَل من الأسواق نهارا نادرا وليلا راتبا.

وفي ثاني عشره: رحل الحاج ، وتجدد ما كان قد درس ذكره ونسي حكمة في مصر ، منذ عهد الخليفة الحافظ لدين الله من سنة خمسمائة وأربعين ، من الرقايع التي كان القبط يخلقونها ، ويتوصلون بها المصادرات ، وخارب البيوت، وعمارة الحبوس ، وإساءة السمعة عن سلطان الوقت.

وفي ذي القعدة : كثرت وثوب السكاري بمن يلقونه ليلا ، وضربهم إياه بالسكاكين ، فلا تخلو ليلة من قتل أو قتيلين ، ولم يؤخذ لأحد بئرا ، ولا وقع كشف عن مقتول منهم ، ولا تمكن والي القاهرة من منعهم ووجد في الخليج ستة نفر قتلي مربطين ، فلم يسأل عنهم، ولا وقع إنكار لأمرهم .

## هدم الأهرامات مشروع أيوبي مستمر

وفي ذي الحجة : عزم العزيز علي نقض الاهرام ، ونقل حجارته إلي سور دمياط فقليل له إن المئونة تعظم في هدمها، والفائدة تقل من حجرها فإنتقل رأيها من الهرمين إلي الهرم الصغير ، وهو مبني بالحجارة الصوان فشرع في هدمه. (ص 302 ج 1) السلوك

وفي (615هـ) أبطل الملك العادل أبو بكر الأيوبي ضمان الخمر والقيان (الجواري العاملات في العزف والغناء والترفيه). (ص 310 ج 1) السلوك

**تعليق:** أي انه أوقف إصدارا تراخص الخمر والدعارة .

## فتوحات نهب مصر

### النهب العثماني :

النهب الأيوبي لمصر كان هو السلف الطالح للنهب العثماني

جاء في كتيب "سيدي المتولي":

وذهب سليم إلي الإسكندرية وأمضي فيها ثلاث أيام وقال أنها أقليم لا نظير له. وسبب زيارته للإسكندرية هو أن الأسطول العثماني وصل إليها ، فقد كان مقررا أن يشترك في فتح مصر بالهجوم علي الشواطئ المصرية لو أن الحرب قد طالت مع المماليك ، وقام سليم بزيارة الأسطول وكان عدده 301 قطعة. واثناء تواجد سليم في القاهرة كان يتسلي برؤية خيال الظل الذي ظهر في مصر أيام الفاطميين، يقول المؤرخون: أن سليم كان ظلوما ومشغول بالسُّكر ولا يظهر للجمهور إلا عند تنفيذ أحكام الإعدام. وكان المؤرخون المصريون يكرهونه. وقالوا عنه: كان من طبعة ألا يثبت علي قول وكلامه ناقض ومنقوض، وأنه ما كان له أمان إذا أعطاه لأحد. أما عساكره فكانوا علي شاكلته، ليس لهم نظام معروف، وعمل العثمانيون علي إفقار مصر ماليا بكل الوسائل، بما فيها النهب. وكانوا قد غنموا كل ما كان يحمله الغوري من مال وتحف ولما دخلوا إلي مصر صادروا أموال كبار رجال الدولة المملوكية ، حتي أموال النساء بما فيهن زوجة طومان باي ، ووالدتها وأخذوا ما لديهن من جواهر وذهب وأواني فضية ونحاس، وأفقروا المصريين جميعا حينما منعوا تداول العملة المملوكية ، وأصدروا بدلا عنها عملة أخف. وزنا لا يدخل فيها الذهب ولا الفضة إلا قليل. ( فكان جنود الإنكشارية يدخلون الأسواق ويدفعون بفضة مغشوشة كما أباحوا تزيف العملة ) ومن رفض قبولها تنهب بضائعه تجارته أو يشنق. السلطان سليم جمع من مصر كل ما استطاع من ذهب وفضه وعاد إلى القسطنطينية ومعه ألف جمل محمل ذهبا وفضه. وألغى العثمانيون دُور سك العملة في مصر والشام. وأخذ سليم معه خبير سك العملة في القاهرة ، وحمل معه كل شيء له قيمة في مصر وعاد به إلي تركيا عن طريق البر علي آلاف الجمال ، وأعداد لا تحصى من المراكب ، وكانت أكثر المسروقات مأخوذة من قلعة الجبل، مقر الحكم في مصر ، وكانت تحتوي علي تحف مختزنة علي مدي ثلاثمئة عام بالقلعة وتحتوي علي دور واسعة للسلطان "خانات" في عام وخواصه وأمرائه. هذا ماعدا ما يوجد في القلعة من تحف خيالية تنم عن ثراء غير طبيعي وخزائن للمال والكتب ومخازن للغلال واسطبلات الخيول، و مناخات الجمال، ولم يترك سليم في القلعة شيء إلا وأخذة حتي الرخام والأعمدة سيما التي في الديوان وقاعة استقبال الأمراء بيوت بل ونقل أعمدة عظيمه من الصعيد ( وأبوابا مسبوكة ) من حديد. وآثار مصرية قديمة. وسحب العقول النابهة ، وأخذ معه الصناع الماهرين من المدن وذكر المؤرخ ابن أياس أسماء هؤلاء الذين صادرهم سليم وسحبهم إلي تركيا وخصص فصلا من كتابة لأسماء من توجه إلي القسطنطينية من جميع نواحي مصر كالمهندسين ، والبنائين والنجارين والحدادين والسباكين والفعلة حيث أخذ سليم أعدادا كبيرة منهم لا يمكن حصر عددهم وهم من الصناع المهرة الذين كانوا يتواجدن في مصر بكثرة وأخذ جماعة من التجار لا سيما تجار خان الخليلي بما فيهم التجار المغاربة ، ونقل سليم مقر الخلافة من مصر الي اسطنبول ، وذلك علي مراحل وذكر المؤرخ المصري ابن أياس أن الخليفة المتوكل العباسي كان صاحب الحل والعقد في أول أيام فتح العثمانيين لمصر فكان في مقام سلطان مصر، في نفوذ الكلمة وظهور العظمة ، حتي

كانت زوجة طومان باي في بيته وبعد أن استفاد سليم من الخليفة المتوكل في تثبيت فتحه لمصر "تغير خاطره عليه" وأصدر له أمرا بالرحيل إلي اسطنبول مع بعض أولاد عمه ليقطع جذور أسرته من مصر نهائيا وهناك فَرَّق سليم بينهم.

## النهب الأيوبي لمصر

كما في مصر كما في الشام:

### أفراح آل أيوب (تبذير على النمط الطولوني)

سنة ستمائة وتسعة (ص 295 ج 1) السلوك

وفيه قدم شداد من حلب إلي دمشق بمال كثير وخلع ، برسم عقد نكاح صفية خاتون أبنة العادل علي ابن عمها الظاهر صاحب حلب ، فخرج إلي لقائه عامة الأمراء والأعيان ، وعقد النكاح في المحرم علي مبلغ خمسين ألف دينار، ونثر النثار علي من حضر القلعة دمشق ، وذلك في المحرم ، ثم جهزت إليه بحلب في تجميل عظيم ، من جملة قماش وآلات ومصاغ يحمله خمسون بغلا ، ومائة جمل ، منهن مائة مغنية يلعبن بأنواع الملاهي ، ومائة جارية يعملن أنواع الصنائع البديعة ، فكان دخولها إلي حلب يوما عظيما ، وقدم لها الظاهر تقادم(هدايا): منها خمسة عقود جواهر بمائة وخمسين ألف درهم ، وعصابة جوهر لا نظير لها ، وعشر قلائد عنبر مذهب ، وخمس قلائد بغير ذهب ، ومائة وسبعون قطعة من ذهب وفضة وعشرون تختا من ثياب ، وعشرون جارية ، وعشرة خدم .

### حفل المولود الأيوبي الجديد

سنة ستمائة وعشر (ص 297 ج 1) السلوك

ففيها تخوف الظاهر (ابن صلاح الدين الأيوبي) صاحب حلب من عمه العادل (صاحب دمشق)، وأخذ في الاستعداد (للحرب) ، ثم تراسلا حتي سكن الحال.

وفيهما ولدت صفية أبنة العادل لأبن عمها الظاهر مولودا سماه محمد ولقبة بالملك العزيز غياث الدين ، وذلك في خامس ذي الحجة ، فزينت حلب ، وأحتفل الظاهر احتفالا زائدا ، وأمر فصيح له من الذهب والفضة جميع الصور والأشكال ما وزن بالقناطر ، وصاغ له عشرة مهود من الذهب وفضة ، سوي ما عمل من الأبنوس والصندل والعود وغيره ، ونسج للصبي ثلاث فرجيات من لؤلؤ ، في كل فرجية أربعون حبة ياقوت ولعل وزمرد ، ودرعان وخوذتان وبركستون ، كل ذلك من لؤلؤ وثلاثة سروج مجوهره ، في كل سرج عدة قطع من جوهر رائع وياقوت وزمرد ، وثلاثة سيوف علائقها وقبضاتها من ذهب مرصد بأنواع الجواهر ، وعدة رماح من ذهب أسنتها جوهر .

\*\*\*

## مصر الطولونية

### قطر الندي

### زهرة السعادة و حناء أفرح المصريين

كان أحمد ابن طولون الذي أنشأ الدولة الطولونية في مصر إستثناء من قاعدة الظلم والإستكبار على المصريين.

وكان ضابطاً أرسله الخليفة العباسي والياً ليحكم مصر فأستقل بها وأعلن دولته الخاصة (كما فعل صلاح الدين الأيوبي الذي كان من جند نور الدين زنكي أرسله ليساعد الخليفة الفاطمي ضد الصليبيين الذين يهددون مصر فاستولي صلاح الدين علي مصر وتخلص من الوزير شاور ونائب الوزير ضرغام وتولي السلطة ورفض تسليم ما أغتصبه من ثروات مصر لولي أمره نور الدين زنكي ، فنشبت عداوة استمرت بينهما إلي آخر لحظة في حياة زنكي ) واسدل صلاح الدين الستار علي نيران العداوة التاريخية بأن تزوج إرملة نور الدين بعد وفاته. فكانت نهاية سعيدة لصراع سياسي مرير).

اختطف حكم مصر هو ما فعله ابن طولون من قَبْل. والفارق أن ابن طولون لم يعامل المصريين بازدراء وقسوة كما فعل صلاح الدين. ومع ذلك فقد جمع ابن طولون ثروات مصر الطائلة وتوسع في ملكة واستولي علي الشام كله .

فأقام دولة قوية يخشاها الخليفة العباسي وجيشاً مصرياً لا قَبْل لجيش الخلافة به. وكان ابن طولون متساهلاً وعادلاً مع شعب مصر حتي وصِفَتْ أيامه أنها كانت أيام سعادة وهناء للمصريين. فعملوا باجتهاد فزادت محاصيل الأراضي في ظل عدالة وتسامح السلطان أحمد بن طولون .

كان ابن طولون في نفس الوقت يحترم الخليفة العباسي كثيراً ويتمني أيقاف الحروب والتنافس بينهما.

وقبل موته أوصى أبنه خماراويه أن يعتني بمصر والمصريين في وصايا جيدة حول حكم مصر ومعاملة المصريين .

حاول خماراويه تحسين العلاقات مع الخليفة في بغداد فكتب إليه بشأن المصاهرة وتزويج أبنته قطر الندي (15 سنه) إلي ابن الخليفة. وقال مؤرخون أن الخلفة العجوز جُنَّ بروعة جمال الأميرة الطفلة الطولونية فقرّر الإستئثار بها لنفسه واختطفها من ابنه. (مدرسة القهرمانه ثمل مازالت فاعلة في البلاط الإمبراطوري العباسي الفاسد).

قال آخرون أن الخليفة خشي أن يكون ذلك الزواج محاولة من خماراويه للسيطرة علي الخلافة عن طريق أبنته وذريتها .

فوافق علي الفكرة علي أن يستخدمها ضد خماراويه ويستولي الخليفة علي مصر. ونجحت خطة إذ بالغ خماراويه بشكل جنوني في تجهيز أبنته وأرسالها إلي بغداد في موكب من البذخ ليس له نظير في التاريخ وكتبت المصادر التاريخية حول نفقات الزواج وكيف أنه أدي في النهاية إلي إفلاس مصر .

تواصلت النكسات علي مصر بعد أن فرغت الخزائن وانهارت العائلة الطولونية وما لبثت أن ماتت العروس حزناً علي أبيها الذي مات أو قتل في القاهرة ودفنت هي في الرصافة في بغداد .

## جيوش إسلامية "الفتح" مصر والانتقام من شعبها .. (لماذا؟؟).

أرسل الخليفة العباسي جيشاً إلى مصر انتزعها من أيدي الطولونيين فدخلها الجيش العباسي وأنتقم من أهلها إنتقاماً شديداً وأحرق العاصمة.

(وهكذا فعل صلاح الدين الأيوبي بعد انقلابه علي الفاطميين. وفعل جيش السلطان العثماني سليم الـذميم عندما هزم المماليك وانتزع منهم حكم مصر إذ أوشك علي إفناء سكان القاهرة إنتقاماً منهم لمقاومتهم الغزو العثماني. طبق الفاتحون (سياسة انهب واهرب)، لم يرد أحد منهم البقاء لأكثر من فترة استنزاف ثروة البلد وخرابها . عمرو بن العاص فتحها لصلاح الخليفة عثمان بن عفان ولكنه استعبد أهلها (قال له الخلفية عمر رضي الله عنه: ياعمرو متى استعبدتم الناس (يقصد المصريين) وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟؟) وكان عمرو هو الذراع الأيمن للأمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه. الذي كافأه بتوليته مصر، فترك خلفه ثروة طائلة وأكوام من الذهب تكسر بالمعاول .

وتعرض سكان مصر لحملات عسكرية باطشة أفنت الآلاف منهم وأحرقت البيوت والأهالي في جنوب مصر في عهود الأيوبيين والمماليك ثم العثمانيين بعد ذلك .

## الفاطمي جاء بثروته إلى مصر

## والأيوبي و العثماني جففوا ثروتها تماما

سوف نلاحظ في السرد التاريخي عندما نصل إلي قصة الأميرة الفاطمية "ست الملك" أن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله عندما جاء إلي مصر جاء مصطحباً ثروته كلها ، حتي جثث أجداده ، ونقل العاصمة إلي القاهرة لهذا اهتمم الفاطميون بمصر وبأهلها. فكانت أزهي عصور العدالة التي عاشها المصريون طوال الحكم الإسلامي . لهذا أنتقم الحكام منهم إنتقاماً مريعاً معتبرين أنهم موالون للفاطميين.

فلماذا يعاقبون شعب مصر علي تعلقه بالحكم الفاطمي الشيعي؟؟ (ومن قبله الطولوني السني)؟؟. لقد تعلق المصريون بالعدالة وليس بالمذاهب وتعقيداتها واشتباكاتهما الكلامية التي تتخطى قدرته علي الفهم.

ولنا أن نلاحظ الفارق بين ما فعله السلطان المعز لدين الله الفاطمي الذي جاء بثروته ورفات أجداده إلي مصر. جاء ليبنى وطناً في ذلك البلد وليس لينهبه ويفقره ثم يهرب متى أراد. وبين ما فعله صلاح الدين الأيوبي والسلطان العثماني اللئيم سليم وكلاهما نزع ثروة مصر فوراً إلي خارج مصر وتركها علي قاع الفقر والمجاعة. وسيوف "الفاطمين" المسلمين.

صلاح الدين استخدم قبيلته التي طارت لمساعدته في التهام ثروات الأمراء الفاطميين والاستيلاء علي أراضيهم وقصورهم بما فيها من نساء ومخازن. كما استخدم يده القذرة (الوزير قراقوش) في معظم عمليات النهب والانتقام المريض من المصريين الذين بدت منهم علائم الكراهية للبلطجة الأيوبية ولقبائل الأكراد التي هبطت علي مصر كأسراب الجراد أو قطعان الذئاب الجائعة.

أرتكبت الأيوبية الكثير من الفظائع التي يندي لها الجبين ووقعت مصر بسبب السطو الأيوبي علي الحكم، في ضائقة مالية شديدة ومجاعة فقد أختفي الذهب والفضة من البلاد وارتفعت الأسعار ومع ذلك لم يرسل السلطان



الأيوبي الجديد شيئاً إلى سيده نور الدين زنكي صاحب الموصل. فنشبت بينهما العداوة كما ذكرنا وعاش صلاح الدين في خوف شديد ولم يشعر بالراحة والأمان، إلا بعد موت نور الدين زنكي .

والسلطان سليم اللثيم أرسل منهوبات مصر إلى عاصمته القسطنطينية ولكن لا يعرف أحد أين ذهبت تلك الثروات الهائلة التي نهبها صلاح الدين وقبيلته من مصر؟. ولكن المفهوم أنها تسربت إلى مناطق الأكراد في العراق والشام وما حوله. جزء منه ذهب رشوة للصليبيين حتى يقبلوا بالإنقلاب الأيوبي في مصر.

أما السلطان سليم اللثيم فقد نهب مصر علنا ولم يترك حجرا علي حجر وكانت قوافل الجمال تكاد تكون متصلة ما بين القاهرة والقسطنطينية محملة بالأسلاب إضافة إلى 301 سفينة في البحر شاركت في نقل الغنائم في أكبر عملية نهب تعرضت لها مصر في تاريخها كله. حتي الصُّنَاع المهرة أختطفهم سليم وشحنهم إلى القسطنطينية. لم يكن سليم ينهب مصر بل كان ينقلها معه إلى القسطنطينية.

## ختام فضائحي للحكم الأيوبي في مصر

### (1) الملك الصالح أيوب

مات في حبوسه ما ينيف عن خسة آلاف نفس سوي من قَتْل وغَرْق من الأشرفية (المماليك البحرية) في البحر ولم يكن له مع ذلك ميل إلي العلم ولا مطالعة الكتب .

قتل السلطان الملك الصالح أيوب أخاه الملك العادل ، ومن حين قتله ما أنتفع بالحياة ولا تهني بها : فنزل به المرض وطرقه الفرنجي(مرض الزهري) .

من الكرك سار الملك الأمجد إلي الملك الصالح أيوب في المنصورة ، وبشره أنه وأخوه أخذوا الكرك له وسأله في خبز(عمل يسترزق منه) يقوم بهما (هو وأخيه) فأكرمه السلطان وأعطاه مالا كثيرا ، وسير الطواشي بدر الدين الصوابي إلي الكرك نائبا بها وبالشوبك ، فتسلمها بدر الدين ، وسير أولاد الناصر داود جميعهم ، وأخويه الملك القاهر عبد الملك والملك المغيث عبد العزيز ونسائهم وعيالتهم كلها . إلي المعسكر بالمنصورة ، فأقطعهم السلطان إقطاعا جليلا ، ورتب لهم الرواتب ، وأنزل أولاد الناصر في الجانب الغربي قبالة المنصورة. (ص 221 ج 1) السلوك

**تعليق:** (هذا على اعتبار أن أراضي مصر كلها هي ملكية خاصة للعائلة الأيوبية وأموال مصر ملكية خاصة للسلطان الأيوبي ومن بعده السلطان المملوكي بينما كان شعب مصر يعاني شظف المعيشة والمطاردة العسكرية للفلاحين والصعايدة في جنوب مصر والعرب في كافة أرجاء المحروسة إلا من استسلم منهم للسلطان وصار من أجناده ) .

وسرَّ السلطان بأخذ الكرك سرورا عظيما ، وأمر فزينت القاهرة ، ومصر ، وارسل جواهر وذخائر وأسلحة ، وشيئا كثيرا مما يعز عليه.

هذا البذخ بينما الحرب مشتعلة في المنصورة بالقرب من معسكر السلطان نفسه والقاهرة بالتالي مهددة بالسقوط ، في يد الحملة التي يقودها هذه المرة لويس التاسع ملك فرنسا ويكرر السلطان الصالح أيوب ما فعله السلطان

الكامل الذي أخذ يبني مدينة المنصورة الفاخرة بينما القوات الفرنسية والألمانية علي بعد أمتار منه . الفرنجة والأيوبيين متنافسان يجيدان الحوار مع بعضهما بشتى الوسائل الخشنة والناعمة، وهكذا تبادلًا حكم القدس والكثير من مناطق فلسطين والشام.

(ص 441 ج1) 647هـ :

فلما كان ليلة النصف من شعبان مات السلطان الملك الصالح أيوب في المنصورة. وهو في مقابلة الفرنج ، عن أربع وأربعين سنة ، بعدما عهد لولده الملك المعظم تورانشاه ، وحلف له فخر الدين بن الشيخ ومحسن الطواشي ومن يثق به وبعدهما علم قبل موته عشرة الآلاف علامة ( توقيع علي ورق ابيض يستعان بها في الكتابات لكتمان موته ، حتي يقدم ابنه تورانشاه من حصن كيفا (وذلك حرصا علي استمرار آل أيوب في الحكم وليس حرصا علي مصر المهددة بالاحتلال الفرنسيين حيث أنه كان لا يثق في ابنه بل وهدد ذات مرة بقتله إن هو حضر إلى مصر). وكانت أم السلطان الملك الصالح أم ولد اسمها "ورد المنى".

وكانت مدة ملكة بمصر عشر سنين الا خمسين يوما ، فغسلة أحد الحكماء الذين تولوا علاجه لكي يخفي موته وحمل في تابوت إلي قلعة الروضة ، وأخفى موته فلم يشتهر إلي ثاني عشر في رمضان ، ثم نقل بعد ذلك بمدة إلي تربته بجوار المدارس الصالحية بالقاهرة .

وكان له من الأولاد الملك المغيث "فتح الدين عمر" ، وهو أكبر أولاده ، ومات في سجن قلعة دمشق ، والملك المعظم غياث الدين تورانشاه ، وملك مصر بعده ، والملك القاهر ، ومات في حياته أيضا وولد له أيضا من شجرة الدر ولد سماه خليلا ، مات صغيرا .

## تأسيس المماليك البحرية

الملك الصالح نجم الدين أيوب هو الذي أنشأ المماليك البحرية بدار مصر: ذلك أنه لما مرَّ به في الليلة التي زال فيها ملكه ، بتفرق الأكراد وغيرهم من العسكر عنه حتي لم يثبت معه سوي مماليكه "الأتراك"، وعى لهم ذلك فلما استولي علي مملكة مصر أكثر من شراء المماليك وجعلهم معظم عساكره وقبض علي الأمراء الذين كانوا عند أبيه وأخيه واعتقلهم وقطع أخبارهم (اي قتلهم) وأعطى مماليكه (الأتراك) الأمرات (المناصب العالية) فصاروا بطانته والمحيطين بدهليزه ، وسماهم بالبحرية عساهم معه في قلعة الروضة علي بحر النيل.

## تناقضات في صفات الملك الصالح أيوب

(ص 442 ج 1) السلوك

مع كل المديح الذي سطره المقريري في حق الملك الصالح أيوب. فمن أخباره أنه كان حريصا علي جمع المال.

وأمر بخنق أخيه الملك العادل وقتل الآلاف من البشر .

فأيهم هو الملك الصالح ؟.

قال عنه المقرئزي (كان شجاعا مهيبا عفيفا صموتا لشدة سطوته وفخامة مع عزة النفس وعلو الهمة وكثرة الحياء والعفة وطهارة الذيل عن الخنا؟

(تكرر هذا المعني عدة مرات كلما جاء الحديث عن شخصية الملك الصالح أيوب بينما قال أن من أسباب موته إصابته بمرض الفرنج " الزُّهري " وهو مرض جنسي معدي ناتج عن "الخنا " والافتقار إلى طهارة الذيل، وانعدام الحياء والعفة. ثم ما هذا الذيل الذي يتحدث عنه المقرئزي؟. هل يتكلم عن ملك . أم عن حصان؟ وهل مصر دولة أم اسطبل خيل؟ )

معروف أن الملك الصالح كان ضمن الأسري لدي الفرنجة في عملية تبادل الرهائن لضمان تنفيذ اتفاق الانسحاب من دمياط والذي قدم فيه الفرنجة عشرين ملكا كرهائن وقدم السلطان الكامل أبنة الملك الصالح أيوب كرهينة فبقي هناك عدة سنوات .

يتابع المقرئزي مدحه قائلا : ومع هذه الشهامة والمهابة لا يرفع بصره إلي من يحادثه حياء منه وخفرا ولم يسمع منه قط في حق أحد من خدمة لفظه فحش، وأكثر ما يقول إذا شتم أحد : (متخلف). ولا يزيد علي هذه الكلمة ولا عرف قط من النكاح سوي زوجته وجواريه (كذبة أخري بخصوص أخلاق السلطان فمن أين جاءه الإفرنجي إذن؟ وهل في ذلك تبرئة للسلطان ام اتهام مبطن للقصر وأخلاقياته؟؟).

وكان يجب جمع المال. بحيث أنه عاقب عليه أم أخيه الملك العادل. الذي قتله خنقا في سجنه .إلي أن أخذ منها مالا عظيما وجواهر نفيسة.

## السلطان الصالح الأيوبي، يقتل أخيه الملك العادل

جاء في كتاب السلوك: وقتل السلطان الملك الصالح أيوب أخاه الملك العادل ، ومن حين قتله ما أنتفع بالحياة ولا تهني بها : فنزل به المرض وطرقه الفرنجي ، وقبض علي جميع أمراء الدولة ، وأخذ أموالهم وذخائرهم ، ومات في حبوسه ما ينيف عن خسة آلاف نفس سوي من قتل وغرق من الأشرفية (المماليك البحرية) في البحر ولم يكن له مع ذلك ميل إلي العلم ولا مطالعة الكتب .

(هذا السلطان الجاهل السفاح السارق، تشهد بذلك أفعاله، كيف يستقيم ذلك مع قول المقرئزي بأنه خجول ولا يرفع بصره إلي من يحادثه حياء منه وخفرا ولا يشتم أحد الا بكلمة " متخلف " ولا يزيد عنها فأيهما السلطان الحقيقي وكيف يجتمع كل هذا التناقض في رواية تاريخية واحدة بل كيف يتسمى بلقب " الصالح "؟؟ ) .

إلا أن السلطان الصالح .كان يُجري علي أهل العلم والصلاح المعاليم والجرايات ، من غير أن يخالطهم ولم يخالط غيرهم. لمحبتة في العزلة ورغبته في الانفراد وملازمته الصمت و مداومته علي الوقار والسكون.

ويتابع المقريري: وكان يحب العمارة ويباشر الأبنية بنفسه ، وعمر بمصر ما لم يعمره أحد من ملوك بني أيوب : فأنشأ قلعة الروضة تجاه مدينة الفسطاط مصر ، وأنفق فيها أموالا جمّة ، وهدم كنيسة كانت هناك اليعاقبة من النصارى وأسكن في هذه القلعة ألف مملوك من الترك وقيل ثمانمائة سماهم البحرية. وكان الماء حينئذ لا يحيط بها. يقصد الروضة. (ص 443 ج 1) السلوك .

## تأسيس الممالك الحرة

الممالك البحرية: هم أبشع القتلّة الذين نكلوا بشعب مصر، خاصة سكان العاصمة والفلاحين والعرب في حملات الإبادة العرقية التي كان الممالك البحرية عماد قوتها. ولهم أيضا بطولات قتالية مشهودة في التاريخ ولكن شعب مصر لم ينتفع منها بل كانت لخدمة السلاطين في قلعة الجبل. (في حرب المنصورة عندما تمكنت القوات الفرنسية من الوصول إلى قصر السلطان تصدى لهم وشتتهم الممالك البحرية بقياد ثلاثة أمراء أبطال تسلطوا على مصر فيما بعدهم : قطز- وبيبرس - وقلاوون).

فلم يزل السلطان الصالح أيوب يُغرق السفن ويرمي الحجارة فيما بين الجيزة والروضة ، إلي أن صار الماء في طول السنة محيطا بها. وأقام جسرا من مصر إلي الروضة ، يمر عليه الأمراء وغيرهم إذا جاءوا إلي الخدمة ، ولم يكن أحد يمر علي هذا الجسر راكبا ، احتراما للسلطان فجاءت هذه القلعة من أجل مباني الممالك وبني أيضا علي النيل بناحية اللوق قصورا بلغت الغاية في الحسن ، جعلها إلي جانب ميدانه الذي يلعب فيه بالكرة . وكان مغرم بلعبها وبني قصرا عظيما فيما بين القاهرة ومصر سماه الكباش علي الجبل بجوار جامع ابن طولون .

ولما طال مرضه من الجراحة الناصورية وفسد مخرجه ، وأمتد الجرح إلي فخذه اليمين وأكل جسمه. اجتهد في مداوتها وحدث له مرض السل من غير أن يفتن به .

## (2) إغتيال السلطان تورانشاه

ونهاية الحكم الأيوبي لمصر

(ص 455 ج 1 / 648 هـ) من كتاب السلوك للمقريري

ورحل السلطان (تورانشاه) من المنصورة ونزل بفارسكور وضرب بها الدهليز السلطاني وعمل فيه برجا من خشب ، وأقام علي لهوه . وكتب إلي الأمير جمال الدين بن يعمور نائب دمشق كتابا بخطة نصه : من ولده تورانشاه الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ... ونُبَشِّر المسلمين كافة بما مَنَّ الله به علي المسلمين من الظفر بعدو الدين فإنه استفحل أمره واستحكم شره ، ويئس العباد من البلاد والأهل و الأولاد فنودوا لا تأسوا من روح الله. ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة ، تمم الله علي الإسلام بركتها ، فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال وفرقنا السلاح ،(لم يكن في حرب دمياط لا بذل أموال ولا تفريق سلاح فالسلاح كان ممنوعا علي المصريين والضرائب مفروضة عليهم،

لا تعطيتهم الدولة بل تأخذ منهم ومن يذهب إلي الجهاد يذهب بما لديه وبما يمكن أن يبعه من ممتلكات أو محاصيل).

ويمضي السلطان قائلاً : وجمعنا العربان والمطوعة وخلقنا لا يعلمهم إلا الله ، فجاءوا من كل فج عميق ومكان سحيق (تعليق: الآن الفلاحيون جاءوا من جميع القرى في بلاد مصر والعربان "العرب" أو من تبقي منهم بعد حملات الإبادة جاءوا أيضاً ) .

فلما كان ليلة الأربعاء ترك الفرنجة خيامهم وأموالهم وأثقالهم وقصدوا دمياط هاريين ومازال السيف يعمل في أديارهم عامة الليل. فلما أصبحنا يوم الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألف غير من ألقى نفسه في اللجج. (ص 456 ج 1) السلوك

والتجأ الفرنسييس -يقصد الملك الفرنسي لويس التاسع - إلي المنية وطلب الأمان فأمناه وأخذناه وأكرمناه ، وتسلمنا دمياط .

### ملاحظة

أول ما بدأ به السلطان تورنشاة في المنصورة:

أخذ المماليك الصغار للأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ بدون القيمة ولم يعط شيئاً لورثته (أخذهم غصباً) وكان ذلك بقيمة 15 ألف دينار . وأخذ يسب الأمير فخر الدين ويقول : وأطلق السُّكَّر والكتان ، وأنفق المال، وأطلق المحاسيب . إيش ترك لي؟؟ . (ص 450 ج 1) السلوك

سنة 648 هـ: وفي يوم الجمعة الخامس من محرم وَرَدَ إلي القاهرة كتاب السلطان إلي الأمير حسام الدين أبي علي نائب السلطنة بالقدوم عليه، وأقام بدلة في نيابة السلطنة بالقاهرة الأمير جمال الدين أقووش النجيبى عليه ، ووصف (أرسل) الأمير أبو علي إلي المعسكر فنزل به مُطَرَّح الجانب (مهاناً، مُهْمَلاً) بعد ما كان عدة الملك الصالح وعمدته .

وبعث المعظم إلي شجر الدر يتهددها ، ويطالبها بمال أبيه وما تحت يدها من الجواهر فداخلها منه خوف كثير ، لما بدا منه الهُوَج والخفة.

وكتبت المماليك البحرية بما فعلته في حقه ، من تمهيد الدولة وضبط الأمور حتي حضر وتسلم المملكة ، وما جازاها به من التهديد والمطالبة بما ليس عندها فأنفوا لها ، وحنقوا من أفعال السلطان . وكان السلطان المعظم (تورانشاه) قد وعد الفارس أقطاي لما أتاها في حصن كيفا بأن يؤمره ، فلم يف له بذلك ، فتنكر له أقطاي وكنتم الشر ، فحرك كتاب شجر الدر منه ساكنا.

وأضاف إلي هذه الأمور ، أن السلطان المعظم أعرض عن ممالك أبيه الذين كانوا عنده لمهمات ، وأطرح (هَمَّش) الأمراء والأكابر أهل الحل والعقد ، وأبعد غلمان أبيه وأختص بجماعته الذين قدموا معه ، وولاهم الوظائف السلطانية (العالية) . وقدم الأراذل : وجعل الطواشي مسروراً وهو خادمه أستاذار السلطان (مدير التشريفات). وأقام الطواشي "صبيح" وكان عبداً حبشياً فحلاً (الطواشي أمر سجن) الذي سجن الملك لويس، عينه أمير جاندار (قائد الفدائيين) وأنعم عليه بأموال كثيرة وإقطاعات جليلة "لماذا"، وأمر أن يصاغ له عصا من ذهب "لماذا؟؟" !! . وأساء السلطان إلي المماليك وتوعدهم ، وصار إذا سكر في الليل جمع ما بين يديه من الشمع، وضرب رؤوسها

بالسيف حتي تتقطع ، ويقول : (هكذا أفعل بالبحرية) ويسمي كل واحد منهم باسمه، واحتجب أكثر من أبيه مع الانهماك علي الفساد بممالك أبيه ، ولم يكونوا يألّفون هذا الفعل من أبيه وكذلك فعل بحظايا أبيه .

و جمع الحل والعقد ، والأمر والنهي لأصحابه الذين قدموا معه (من قلعة سيماط) فنفرت قلوب الممالك البحرية منه، واتفقوا علي قتله ، وما هو إلا أن مدّ السماط بعد نزوله بفارسكود .

في يوم الاثنين السادس عشر محرم ، جلس السلطان على عادته ، فتقدم اليه واحد من البحرية هو بيبرس البندقاري (بطل معركة المنصورة) الذي صار اليه ملك مصر فيما بعد.

وضرب بيبرس السلطان بالسيف: فتلقاها بيده فبانت (قطعت) أصابعه والتجأ إلي البرج الخشبي الذي نصب له وهو يصيح : (من جرحني؟) قالوا له : (الحشاشين) أي جماعة الحشاشين المشهورين بالاغتيالات ، ساخرين منه.

فقال : (لا والله إلا البحرية والله لا أبقيت منهم بقية ) واستدعي المزيّن - الحلاق - ليداوي يده.

فقال البحرية بعضهم لبعض: (تمموه وإلا أبادكم) فدخلوا عليه بالسيوف ، ففر معظم إلي أعلي البرج وأغلق بابه ، والدم يسيل من يده ، فأضرموا النار في البرج ، ورموه بالنشاب فألقي نفسه من البرج ، وتعلق بأذيال الفارس أقطاي ، واستجار به فلم يجره، وفرّ المُعظم هاربا إلي البحر ، وهو يقول : (ما أريد مُلكا ، دعوني أرجع إلي الحصن - كيفا - يامسلمين ! ما فيكم من يصطنعني ويجيرني؟..

هذا وجميع العسكر واقفون ، فلم يجبه أحد والنشاب يأخذه من كل ناحية . وسبحوا خلفه في الماء وقطعوه بالسيوف قطعاً حتي مات جريحا حريقا غريقا ، وفرّ أصحابه واختفوا .

وترك السلطان معظم علي جانب البحر ثلاثة أيام منتفخا ، لا يقدر أحد أن يتجاسر علي دفنه ، إلي أن شفع فيه رسول الخليفة ، فحمل إلي ذلك الجانب ودفن فكانت مدة ملكه واحد وسبعين يوما . وقيل مرة لأبيه في الإرسال اليه ، ليحضر من حصن كيفا إلي مصر ، فأبي ، وألح عليه الأمير حسام الدين أبو علي في طلب حضوره فقال : (متي حضر إلي هنا قتلتني ) وكان المباشر لقتلة أربعة من ممالك أبيه . وكان الملك الصالح نجم الدين لما أراد أن يقتل أخاه العادل ، قال للطواشي محسن : (إذهب إلي أخي العادل في الحبس ، وخذ معك من الممالك من يخنقه . فعرض محسن ذلك علي جماعة من الممالك وكلهم يمتنع الا أربعة منهم ، فمضي بهم حتي خنقوا العادل . وقدّر الله أن هؤلاء الأربعة هم الذين باسروا قتل ابنه معظم " تورانشاة " أقبح قتلة . (ص 458 ج 1)

## الإسبتارية

جاء تشكيل قوة الممالك البحرية متأثرا إلى حد ما بفكرة التشكيلات الدينية العقائدية المقاتلة مع الفرنجة مثل الاسبتارية وكان لهم تأثير كبير وبحسب لهم حساب والفروقات بين التشكيلين واضحة.

(ص 207 ج 1) السلوك - ترجمة عن الاسبتارية وهو تحريف لكلمة فرنسية .

وقد أنشأ الفرنجة في القدس مشافي يشرف عليها الرهبان ، ونجم عنها تأسيس ثلاث منظمات رهبانية عسكرية هدفها إيواء ومداواة المرضى والجرحى من الجنود والحجاج المسيحيين ، وهذه المنظمات هي منظمة فرسان



القديس يوحنا، ومنظمة فرسان الهيكل، وهما فرنسيتان. ومنظمة للألمان هي منظمة التوتريين. أما منظمة فرسان بيت المقدس، التي أسماهم العرب الإسبتارية، فقد تأسست في السنة التي استولي فيها الصليبيون علي القدس سنة 493هـ / 1099م .

انظر: الموسوعة الفلسطينية وهامش النجوم الزاهرة.

\*\*\*

## زنكي يكتشف تواطؤ صلاح الدين مع الفرنجة

### فأراد أن يهاجم مصر ليقبله منها

لم يكن صلاح الدين قد انهى إنقلابه في القاهرة فما زالت الأجزاء الصعبة باقية سواء في القاهرة أو في باقي مصر. والبلد في صدمه نتيجة سقوط الدولة الفاطمية العادلة التي حكمت أكثر من مائتي عام .

وجاء هؤلاء الهمج الأيوبيين وجنود الغز الفوضويون ليستولوا علي قصور الخلافة وثروات الأمراء ويقتلون ويسجنون ويعذبون بلا وازع أو ضمير بشكل لم تألفه مصر قبلًا .

ومازالت في مصر أوراق قوية تهدد الأيوبيين كان أهمها قبائل العرب بأعدادهم الكبير وسلاحهم الوافر وانتشارهم الواسع علي أرض مصر وتربطهم مع الفلاحين وأهل النوبة من الفلاحين والمصريين كانت تلك أكبر قوة تهدد الإنقلاب الأيوبي التي لم يترسخ بعد ولكنه حتي هذه اللحظة التي نتكلم عنها كان قد قضى علي قوة عسكر النوبة المشهورين في مصر باسم السودان وهم من نوبة الجنوب المرتبطين عرقياً وقبائلياً مع قبائل النوبة التي تسكن إلي إمتداد عمق كبير في الأراضي السودانية ( وكان منهم حكم فرعوني من سلالة عدة عائلات ولهم آثار باقية في السودان. ومنهم انبعثت حركة توحيد مصر في مملكة واحدة مركزية تحولت إلي إمبراطورية واسعة. ومن جنوب الصعيد انطلقت عملية حرب تحرير مصر من احتلال قبائل الهكسوس القادمين من آسيا الوسطى ، الأناضول..

قضي صلاح الدين وأخوه (توارنشاه) بقسوة بالغة علي الجنود السودانيين من جيش الخليفة العاضد بحرقهم ليلاً في بيوتهم .

في وحشية لم يصلها التتار في بغداد وقد تفوق الأنقلاب الأيوبي حتي بلغ من الوحشية وأكثر مما بلغ أي إحتلال آخر لمصر أو للدول الإسلامية .

فكانوا يستولون علي البيوت ليلاً ويلقون القبض علي الأمراء ويصادرون النساء والأطفال كملكيات خاصة وهو ما لم يفعله التتار في بغداد ولا الصليبيون في دمياط والمنصورة .

ولكنها سنة يزيد مؤسس الحاكم المستبد السلطوي في الإسلام حين اباح لجيشه المدينة المنورة بنسائها وأموالها ودماء رجالها لمدة ثلاث أيام.

وصار ذلك سنة "اليزيد" محترم. لم يتنازل عنها الطواغيت علي مر التاريخ وأكثر ما عانى منها هو شعب مصر الذي وضعت الهرقلية الإسلامية في صدارة العداء. أحاديث نبوية حظرها الطواغيت تبشر بأن أهل مصر سيكونون جنود

المهدي في إقامة العدالة في العالم (ربما لأنهم الأكثر معاناة من الظلم في هذا العالم) وإستعادة القدس من اليهود بحضور السيد المسيح عليه السلام وذلك تسبب في عداً أبدي بين الدولة الهرقلية الإسلامية وشعب مصر وأيضاً عداً حلفاء تلك الدولة الهرقلية الإسلامية لشعب مصر وكان أقرب مثال هو تحالف بيزنطة مع المرتدين أولاً ثم مع الأمويين ثم الأيوبيين من أجل إسقاط حكم الإسلام وإقامة حكم بدوي غبي متعسف لا يؤمن بغير مصالحه المباشرة للمال والسلطة ولا يبالي بدين ولا عدالة ولا شرعية.

أن صلاح الدين أسرع بإهداء مصر إلي الخليفة العباسي ليتخذ سنداً في مواجهة نور الدين زنكي. فتلك الخلافة الساقطة في بغداد أصابها سعادة جنونية فأسرعت إلي مصر في هجوم عباسي عقائدي لا يحمل عدالة ولا مساواة بل يحمل شعارات بني العباس والعداء لال أحمد كما أوصاهم يزيد في بداية التأسيس للحكم الهرقلي .

يقول المقرئ في السلوك أنه في إثنا عشر رجب عام خمسمائة وسبع وستين (قام صلاح الدين في القصر الفاطمي في العاشر من محرم وإستولي علي الحكم وبدأ إبادته ضد السلالة الفاطمية في مصر).

في ثاني عشري رجب: أقيمت الخطبة في صلاة الجمعة بمصر والقاهرة ، وقد نصبت علي المنابر الأعلام السود ولبس الخطباء ثياباً سوداء أرسل بها من بغداد ، وجُرس في البلد بالأيتأخر أحد عن الجمعة وحضورها ، والفريضة وأدائها، ومن عثر عليه عومل بالحبس والتقييد ، فحضر من لا يريد الحضور .

**تعليق :** لم يهتم الخليفة الفاشل المستضي بالله في بغداد بدماء التي تسفك في مصر ولا بالأموال التي تنهب ولا بالتجاوزات في الدم والأعراض والجرائم التي يرتكبها الهمج من قبائل الكرد وجنود مرتزقة من الأتراك الغز .

كل ما أهتم به الخليفة الفاشل هو الثياب السود التي أرسلها من بغداد وتهديد من لا يحضر صلاة الجمعة ، فكان الناس لا يرحبون بتلك الجمعة العباسية المحفوفة بالتهديد والوعيد .

وحضر من لا يريد الحضور ومن لا يريد الحضور لم يكن مضرباً عن أداء الفريضة بل مضرباً عن جعلها فريضة عباسية.

وفي تتابع ذو معني في الثالث عشر من رجب: خلع على الوفد الشامي مذهبات من بقايا ما أخذ من القصور ، وإقيمت ضيافاتهم وأدرت إنزلاتهم . (ص 125 ج 1) السلوك

وفي أضافة آخري من المقرئ يضع رأيه ضمن شفرة معقدة مثل ما وضع شيفرة إنتشار الفئران في مصر إشارة إلي سرقات قراقوش وعصابته الأموال من القصور الفاطمية .

فيقول مؤرخ "حارة برجوان" ما يلي : وقع برد في الدقهلية والمرتاحية كأنه الأحجار المدورة ، فأستهلك الغلات ، وأصاب منها واحد رأس ثور فمات من ساعته وبلغ وزنها ما بين رطل ورطلين .

يقول المقرئ عن الحادي عشر من رجب ما يلي: ركب السلطان بالخُلع وشق بين القصرين والقاهرة ، فلما بلغ باب زويلة نزعها وأعادها إلي داره، وبرز للعب الكرة .

**تعليق :** (السلطان بالتوازي مع المجازر والمآسي التي أنزلها بالفاطميين ومن والاهم من المصريين يجد السلطان وقتاً ومتسعاً من ضمير ليذهب ليلعب الكرة بعد أن أستعرض الخلع التي أهداها له الخليفة.

(ص 152 ج 1) السلوك: ويرسل المقريري رسالة أخرى من رسالة المشفر، ويقول في الفقرة التالية: وفيها عمت البلوي الضائقة بأهل مصر، لأن الذهب والفضة خرجا منها ومارجعا، وعندما فلم يوجد، ولهج الناس بما عمهم في ذلك.

وفي رسالة مشفرة أخرى من المقريري عن المشاكل التي تحاصر الحكم الأيوبي في مصر يقول في تلك الفقرة ( وفيها عرض السلطان العربان الجذاميين، وكانت عدتهم سبعة الآلف فارس، فاستقرت علي الف وثلاثمائة فارس

وهنا ملاحظة هامة: وهي ان العرب في مصر كانوا هم القوة الكبرى التي يمكن أن تتحدي الحكم الأيوبي من ناحية العدد والسلاح ورفضوا تغيير السلطة الفاطمية بغير سند شرعي وكانت تلك هي نقطة الخلاف في صدامهم مع الحكم الأيوبي والحكم المملوكي وقد تكلمنا عن سبب كراهيه الأنظمة الهرقلية لكلمة شريعة أو عدالة أو كرامة ومساواة بين الناس أو إسلام. وترغب في بقاء الحكم الإسلامي البيزنطي كقاعدة طاغوتية مشتركة بين الروم والعالم الإسلامي.

### السلطان يسبق الجميع إلى الصليبيين طلبا لتثبيت انقلابه

ويبدو أن صلاح الدين قد سبق عرب مصر بخطوة واحدة أو أكثر عندما هددوا بالإنضمام إلي الفرنجة. وفاتهم أن صلاح الدين قد سوى أموره وعقد صفقة مع الفرنجة حول أوضاع مصر بعد الانقلاب الأيوبي (لم يتضح ذلك بالوثائق الرسمية العربية ولكن ربما يكون موجودا في الوثائق الأوربية. ولكن الأحداث التي تتابعت بعد المظاهرة العسكرية الفارغة التي قام بها صلاح الدين مدعياً غزو الشوبك وأيلات أثبت ان ذلك الاتفاق قد تم بالفعل ووضع موضع التنفيذ.

وكان الاتفاق موجها ضد بقايا الفاطميين في مصر وأن يمتنع الصليبيين عن معونتهم ضد الانقلاب الأيوبي وكان الصليبيون قد تدخلوا لفرض نوع من الوصاية علي مصر وإحتلال جزء من أراضيها ولأجل هذا إستغاث الخليفة الفاطمي العاضد بنور الدين زنكي فأرسل اليه من هو أكثر شراً من الصليبيين، وهم صلاح الدين وشيركوه الذين سيطروا علي الحكم وأسقطا الدولة الفاطمية.

الطرف الثاني المستهدف كان آل زنكي في حلب وكانت دمشق تابعة لهم أيضا والطبيعي أن يطلب صلاح الدين من الفرنجة أن يمنعوا وصول الجيش الزنكي إلي مصر.

وقد كان الطريق المتاح لهم هو الكرك رغم صعوبته لأن طريق غزة التجاري السهل تحتفظ فيه مصر عادة بقوة حماية أو إنذار مُبَكَّر.

ومنطقة الشوبك وأيلة منطقة إستراتيجية وتعتبر مفصل إتصالات ما بين مصر والحجاز والشام، لهذا كان الجميع يسعون للسيطرة عليها والدفاع عنها بكل قوة.

أما المقابل الذي سيدفعه صلاح الدين للصليبيين فقد كان من الكنوز الفاطمية التي نهبها من مصر.

وأدار صلاح الدين دفة الإضطهاد وتكسير أجنحة المقاومة لحكمه وتوجه إلي أهل الذمة في مصر من النصاري واليهود وكانوا من أنصار الدولة الفاطمية التي منحتهم العدالة والمساواة بصفتهم مصريين وأهل ذمة.

ومن شهر شعبان أمر السلطان بصرف أهل الذمة ومنع من إستخدامهم في أمر سلطانهم ولا شغل ديوانه . وأرجف بأخراجهم من البلد وأخذ مساكنهم فلما كان الخامس عشر منه صرفت جماعة من وجوه أهل الذمة من الأشغال السلطانية ، وبقي بعضهم ، وأمتنع الغز عن صرف مالديهم من أهل الذمة لأنهم دبروا أمرهم ويخشون من أخراجهم لضياح أمرهم .

فالغز الجهلة بعد أن أستولوا علي الأملاك والضيعات لم يكونوا يعرفون كيف يتصرفون به فإعتمدوا علي أهل الذمة وأبقوهم علي حالهم في وظائفهم. (ص 153 ج 1) السلوك

وفي ذي القعدة : كثرت المناسر (عصابات كبيرة منظمة) وهجموا وأحرقوا الدور بمصر . (ص 153 ج 1) السلوك يقول المقريري: أنه في تلك السنة خمسمائة سبع وستين هجرية ابتدأت الوحشة والنفرة بين الملك العادل نور الدين محمود وبين السلطان صلاح الدين يوسف وذلك لأن نور الدين بعث إلي صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية، والمسير بها إلي بلاد الفرنجة ومحاصرة الكرك، ليجتمع هو وإياه علي ذلك، فبرز صلاح الدين وكتب إلي نور الدين بذلك.

وتحرك نور الدين من دمشق ونزل بالكرك وهو ينتظر صلاح الدين فأتاه كتابة يعتذر عن الوصول لاختلال بلاد مصر والخوف عليها ويعلمه بأنه عاد الي القاهرة، فعظم ذلك علي نور الدين وعزم علي دخول مصر وقلع صلاح الدين منها.

من تلك المناورة التي قام بها نور الدين زنكي يتضح أنه إكتشف أسرار الحملة الوهمية التي قام بها صلاح الدين من قبل ومنذ فترة قريبة التي قام بها الأيوبي في الكرك والشوبك وأيلة. وأنه أراد أن يورط صلاح الدين مع الصليبيين فأن يقوم معه بالهجوم علي تلك المنطقة (الكرك والشوبك) فيخرب بذلك الاتفاق بين صلاح الدين والفرنجة ، أما إذا رفض صلاح الدين فسوف يكشف حقيقة أمره أمام نور الدين وقتها تصبح العداوة الصريحة بينهما ويعمل علي خلعة من مصر بالقوة.

لم يكن السلطان نور الدين زنكي ساذجا حتي تخدعه مناورة صلاح الدين الساذجة فهو الذي قام بإنقلابه في العاشر من محرم كيف يتأتي له أن يهاجم الفرنجة في التاسع عشر من محرم عشر تاركا القاهرة غير مستقرة ثم يشيع أنه قاتل الفرنجة في الشوبك وأيلة وأنه فقد خمس آلاف رأس ما بين جمل وفرس في هذه السفرة. (ص 150 ج 1) السلوك

لا يفعل ذلك الا ساذج أم جاهل شؤون الحكم وصلاح الدين ليس كذلك .

إذا لابد أنه قد أخفي شيئا كبيرا وراء تلك الحملة كما أنه لم يحدث تغير علي الأرض رغم ضخامة الحملة وضخامة الخسائر ولم يكن هناك وباء بين الحيوانات في ذلك الوقت لا في مصر ولا في الشام والحل الوحيد هو أن تلك الكمية الضخمة من الحيوانات بما تحملة قد تركت للصليبيين في الشوبك والكرك ضمن إتفاق الطرفين دفع صلاح الدين ثمنه تحت تمويه الحملة الوهمية وهي آلاف جمل وفرس محملين بثروة منهوبة من مصر. لأن صلاح الدين وشريكوه لم يكن معهما شيء عندما حضرا اليها.

إنها إذا أموال المصريين التي نهبت من قصور الحكم الفاطمية في القاهرة وقد تكشف كل شيء عندما طلب الملك زنكي من الأيوبي شن حملته مشتركة ضد الشوبك والكرك. وكأنه يقول لصلاح الدين لقد كشفت لعبتك فأنت لم تهاجمهم الشوبك والكرك بل كنت تدفع لهم رشوة مقابل تحالفهم معك ضد زنكي والفاطميين .

كان ذلك في شهر ذي الحجة من عام خمسمئة وسبع وستين أي بعد حوالي ست أشهر من انقلاب صلاح الدين ومن الحملة الوهمية التي شنّها علي الكرك. فكيف أنه كان مستعداً بعد تسعة أيام فقط من الانقلاب لمنازلة الصليبيين في الكرك في التاسع عشر محرم، بينما هو غير مستعد بعد ستة أشهر من نهب القصور بواسطة زبانية وزيره قراقوش، وأخذ منها ما يصعب حصره من الثروات والكنوز.

إنكشفت لعبة صلاح الدين تماماً ولم يعد هناك أدنى شك أمام نور الدين زكي فقرر الهجوم علي مصر وقلع صلاح الدين منها. (ص 154 ج 1) السلوك

إستشار صلاح الدين أقرب أعوانه وخواصه وأهله فأشاروا عليه بمحاربة نور الدين.

فسبهم الأب نجم الدين أيوب، وأنكر عليهم، وكان ذا رأي ومكر وقال لأبنة تقي الدين الذي أشار بالحرب: (أقعد وسبه والتفت إلي ولده السلطان صلاح الدين وقال: (أنا أبوك) وهذا شهاب الدين الحارمي خالك / أتظن في هؤلاء من يحبك ويريد لك الخير أكثر منا؟ قال: (لا). فقال نجم الدين: (والله لو رأيت أنا وخالك هذا السلطان نور الدين لم يمكننا إلا أن نترجل له، ونقبل الأرض بين يديه، ولو أمرنا بضرب عنقك بالسيف لفعلنا. فإذا كنا نحن هكذا فكيف يكون غيرنا؟ وكل من تراه من الأمراء والعساكر، ولو رأي السلطان نور الدين وحده لم يتجاسر علي الثبات في سرجه، ولا يسعه إلا النزول وتقبيل الأرض بين يديه، هذه البلاد له، وقد أقامك فيها نائباً عنه، فإن أراد عزلك فأني حاجة إلي المجيء. يأمر بك بكتاب مع نجاب (مرسال) حتي تقصد خدمته ويولي البلاد من يريد وقال للجماعة كلهم: (قوموا عنا) فنحن مماليك السلطان نور الدين وعبيده، يفعل بنا ما يريد، فتفرقوا علي هذا وكتب أكثرهم إلي نور الدين بهذا الخبر.

ثم أن نجم الدين خلا بأبنة صلاح الدين وقال له: (أنت جاهل قليل المعرفة) تجمع هذا الجمع الكثير وتطلعهم علي ما في نفسك، فإذا سمع نور الدين أنك عازم منعه من البلاد، جعلك أهم أموره وأولاها بالقصد، ولو قصدك لم تر معك أحدا من هذا العسكر، وأسلموك إليه وأما بعد هذا المجلس فإنهم سيكتبون إليه بقولي، فأكتب أنت إليه أيضا في المعني وقال له: أي حاجة إلي قصدي؟ نجاب (شرطي أو طواشي) يجيء فيأخذني بحبل يضعه في عنقي، فإنه إذا سمع هذا عدل عن قصدك، وإشتغل بما هو أهم عنده، والأيام تدرج، والله عز وجل كل يوم هو في شأن، ففعل صلاح الدين ما أشار به أبوه، فإنخدع نور الدين وعدل عن قصده، وأندرجت الأيام كما قال نجم الدين، ومات نور الدين. (ص 154 ج 1) السلوك

(وبموت نور الدين تزوج صلاح الدين أرملته مسجلا الهدف النهائي في صراعه مع نور الدين زكي).

وقد أظهر الأب حنكه سياسية فائقة في هذا الموقف وكان أولي به أن يكون مستشار لأبنة، بدلا من أن يكون حاكما فاشلا للإسكندرية يزرع فيها مرض الافرنجي والجريمة والخمر.

ترجمة:

**الشوبك:** قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم (البحر الأحمر) قرب الكرك.

**أيلة:** مدينة علي ساحل بحر القلزم مما يلي الشام وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام قال أبو زيد: أيلة مدينة صغيرة عامره بها زرع يسير ، وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير ، وبها في يد اليهود عهد رسول الله (صلي الله عليه وسلم). وقال أبو المنذر : سميت بأيلة بنت مدين بن أبراهيم عليه السلام.

كانت أيلة تابعة لمصر أثناء حرب فلسطين عام 1948 واستولي عليها اليهود أثناء الهدنة التي تخللت تلك الحرب وأسموها (إيلات).

وكان المصريين يطلقون عليها اسم أم الرشراش. وهو الاسم الذي يطلقه عليها مجاهدوا اليمن من حركة أنصار الله. ويفصفونها بالصواريخ والمسيرات حتي أصاب مينا ام الرشراش بمقدار كبير من الشلل والتلف. وأثر ذلك تأثير سلبي كبير علي الاقتصاد الإسرائيلي .

إنتهى الكتيب الرابع

نشر في تاريخ 2024/08/10

موقع مافا السياسي

WWW.MAFA.WORLD